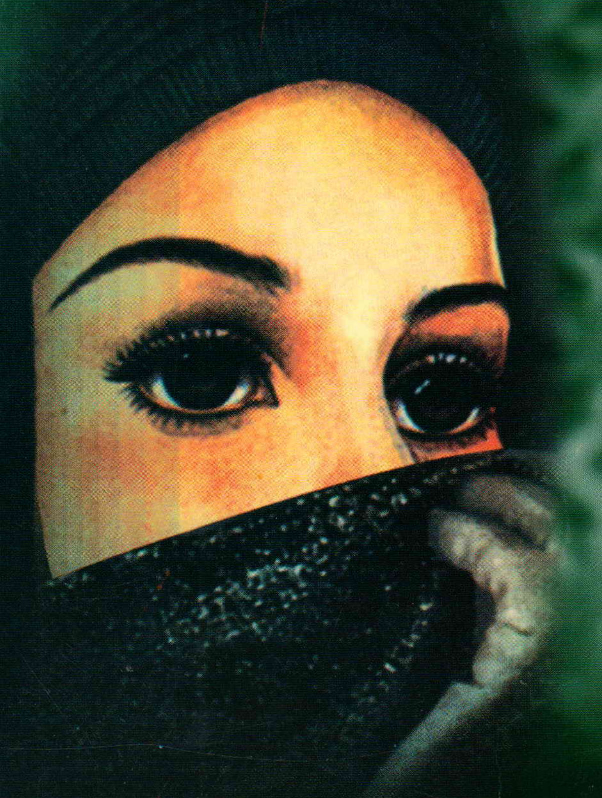
يهدى ولا يباع

من حقّي أن أكون شيعيّة

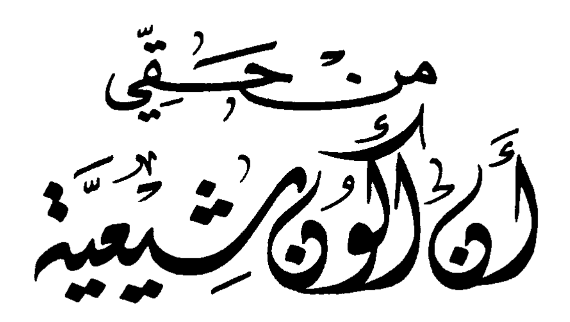
السيدة أم محمد علي المعتصم





هيئة خدام المهدي عليه الصلاة والسلام


من حقي
أن أكون شيعية



الكاتبة السودانية

السيّدة أمّ محمّد علي المعتصم

الفاتحة على أرواح المؤمنين والمؤمنات

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين

طبعة عام (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)



هيئة خدام المهدي عليه الصلاة والسلام

هيئة تثقيفية إسلامية تطوعية هدفها تنمية المجتمعات إيمانيا
وفق رسالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

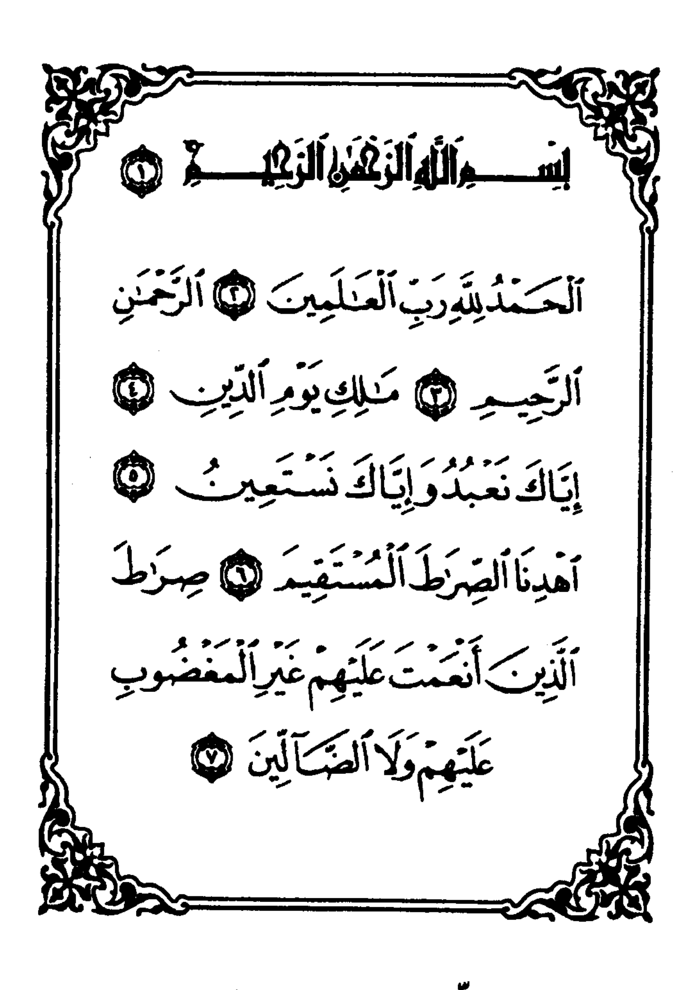
مكتب لندن : ٠٠٤٤٢٠٨٤٥٢٤٤٨٠ - ٠٠٤٤٧٩٣٠٨٨٨٦٩٩
فاكس : ٠٠٤٤٨٧٠٦٢٢١٩٩٨
KMO
PO Box 864
Wembely - London
HA9 1BL
UK
البريد الإلكتروني: kmolondon@yahoo.co.uk
موقع محاضرات الشيخ الحبيب: www.alqatrah.org

توزيـــع:



مركز نور محمد
صلى الله عليه وآله وسلم

بيروت - حارة حريك - بئر العبد
خلف البنك الفرنسي



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

وصلِّ اللهمَّ على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ

المقدمة

من أعظم المخاطر التي واجهت الأمة الإسلامية بعد انتقال الرسول(ﷺ) إلى الرفيق الأعلى، محنة الحكم والخلافة باعتبار أنها تمثل الامتداد العملي للإسلام، ومن هنا قيل: (ما سلّ سيف في الإسلام كما سلّ في الخلافة) فكل الدماء التي سفكت بعد موت رسول الله(ﷺ) وكل الحروب التي دارت من وقعة الجمل وصفين والنهروان وغيرها من الحروب المتفرقة والثورات المحلية كانت بسبب الحكم والخلافة، وما زال ذلك الواقع التاريخي يخيّم بظلاله على واقعنا بصور خلافات مذهبية ونزاعات طائفية، وقد حاولت مئات الكتب معالجة جذور أزمة الحكم والخلافة في المنظور الإسلامي، وخاصة بين الطرح الشيعي والسنّي الذي برزت بينهما اختلافات جوهرية ما زالت مسيطرة على واقع الجدل المذهبي بين الطرفين.

وأعتقد أنّ الطرح الفكري المجرد ليس كافياً لحسم الشرخ الذي عملت الأيام على توسيعه، وإنما يحتاج إلى مقدمات ثقافية ونفسية تستوعب دواعي الخلاف ببصيرة قرآنية، فليس المهم أن تَحكم الأمة بإسم الإسلام، وإنما المهم أن تُحكِّم الأمة فيها الإسلام، وهنا يكمن البون الشاسع بين سياسة القيم، وقيم

السياسة، ففي الأولى يتجلّى حكم الإسلام بمنظومته القيمية، وفي الثانية تتحكم باسم الإسلام قيم الجاهلية، فبين اتخاذ الحق وسيلة وهدفاً، وبين الغاية تبرر الوسيلة، يتجلّى الفرق بين ما يريده الإسلام وما نريده نحن، والفرق بين الإرادتين هو جذر الإشكالات التي واجهت الأمة الإسلامية في الإطار المعرفي والعملي، وقد نتج عن ذلك في البعد المعرفي الخلاف المذهبي الذي شتّت الأمة إلى مدارس متباينة ومتعددة، فتدخلت إرادات الناس لرسم صور معرفية تم نسبتها إلى الإسلام، من معتزلة وأشاعرة ومرجئة وقدرية وحنبلية وغيرها، فكلها محاولات لفهم الإسلام ولكنها محدودة تتحكم فيها إرادة الإنسان وتوجهاته وظروفه النفسية والموضوعية، في حين أنّ إرادة الله تجلت في طريق واحد وفهم محدد لا يحتمل هذه التعددية المعرفية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[1] أما في البعد العملي والتطبيق الخارجي فهناك مثال واضح للمفارقة بين إرادة الله وإرادة البشر وهو اجتهاد الأمة في تعيين خلفاء لرسول الله(ﷺ) بعيداً عن مراد الله واختياره لأهل البيت(عليهم السلام) ليكونوا قيادات لهذه الأمة، فتجاوز الأمة للنصوص الدالة على إمامة أهل البيت هو في حقيقته تجاوز لإرادة الله وأمره، فتصادم الإرادات يمثّل الحد

---

(١) - سورة آل عمران / الآية : ١٩.

الفاصل بين إسلام الله وإسلام البشر ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾[1] ولا يرتكز هذا الطرح على مصادرة إرادة الإنسان وإنما تحديد إطارها الذي تنسجم فيه مع إرادة الله، فحقيقة الإسلام التسليم وهو يعني أن تكون إرادة الإنسان في طول الإرادة الإلهية.

وحينها تنحصر حرية الإرادة بين الكفر والإيمان، وبعد الإيمان تنصهر الإرادة الفردية والجماعية في الإرادة الإلهية، فإن كان هناك خطاب لتوحيد الأمة والعمل على تأسيس قواعد علمية يرتكز عليها وعينا الديني، لا بد أن تعيش الأمة أفق الإرادة الإلهية بعيداً عن الإرادة الشخصية الضيقة، بأن تتحمّل الأمة مسؤوليتها ﴿إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[2] ولكي نقتحم تلك العقبة من محورية الإنسان على نفسه وأنانيته النرجسية، لا بد أن ننتفض من قيم النفس لنحلق بقيم الله.. ومن الهوى إلى الحق.. ومن الدنيا إلى الآخرة.. ومن الاستسلام للعادات الموروثة للتسليم لله، فليس كافيا أن يدّعي الإنسان الإسلام، ليذوب الإسلام فيه، وإنما المهم أن يذوب هو في

---

(١) - سورة الأحزاب / الآية: ٣٦.

(٢) - سورة الرعد / الآية: ١١.

الإسلام، ولتبديل ضمير الأمة لا بد أن تتوالى الصيحات حتى تتغير آليات الفهم التقليدية ونتخطّى كل حدود الفكر المصطنعة.

هذه البصيرة لا بد أن تكون حاضرة في معالجة كثير من القضايا الخلافية، فإذا تجرّد الإنسان في بحثه عن مراد الله وأمره تنكشف أمامه كثير من الحجب التي يمكن أن تكون حائلاً بينه وبين معرفة الحقيقة.

فكان هذا الكتاب.. يحكي عن مولود بمخاض عسير، من بين ظلام الظلم وضلال الجهل، التي عاشها التشيع وهو يجسد التضحية والصبر في محبة أهل البيت، تحسّست معه تلك الآلام وأنا أتصفّح صحائف التاريخ الأسود، حتى وجدت النور واكتشفت الحقيقة وعرفت أن هناك معنى للهداية، وتذوّقت حلاوة العيش في رحاب التشيع عندما جاورت مقام عقيلة الهاشميين السيدة زينب بنت الإمام علي بطلة كربلاء ونصيرة الحسين(عليه السلام) بصبرها وحكمتها وصلابتها، عندها أحسست بنشوة الهداية أكثر فأكثر وفي كل يوم بجوارها أستمد من نورها شيئاً جديداً، وأنا أنهل من علومهم ومعارفهم في معاهدهم الدينية.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

المرأة..
بين حرية البحث
والتقليد



تعالت نداءات المرأة مطالبة بحقوقها في شتّى ضروب الحياة، بعد أن عاشت عقوداً من الأزمان ترى نفسها مهضومة تعيش على هامش الحياة في طريق سعادة الرجل، فطالبت بحقها في العمل، والمشاركة السياسية، وبحقّها في إدارة عجلة الاقتصاد، وتسيير المجتمعات.

فرأت في نفسها أن تتبرّج وتعيش مع الرجل حياته خطوة بخطوة، حتى أنها لم تتنازل عن الأعمال التي قد لا تتناسب مع تكويناتها الجسدية كالأعمال التي تتطلب العنف، ظانّة أنها قد تصل إلى حقوقها بهذه الطريقة.

فأصبحت هذه النداءات واقعاً نعيشه يوماً بعد يوم في بلادنا الإسلامية، وبعيداً عن مناقشة هذه الحقوق ومدى سلبياتها وإيجابياتها، فقد أصبح هذا الأمر واقعاً مفروضا علينا شئنا أم أبينا، ولكن بنسب متفاوتة من بلد إلى آخر وذلك على حسب موقعها بين أصالتها الإسلامية ومدى تأثرها بالثقافة الغربية.

وهنا سؤال يفرض نفسه في هذا المقام، فمن بين كل تلك الدعاوي التي تعطي المرأة كل الحق في ما تشاء لم نسمع للمرأة نداءً يطالب بحقها في اختيار دينها ومذهبها؟!

فبإطلالة سريعة على تاريخ المرأة الحضاري والفكري لا نجد تجارب ملموسة تؤكد كفاح المرأة في اختيار دينها بعيداً عن تأثيرات مجتمعها وأسرتها، وإن كانت هنالك نماذج فهي محدودة لا تشكل حالة عامة حتى تصبح معياراً نرجع إليه، فالمقولة الحاكمة في هذا الميدان: (أنّ المرأة على دين زوجها) وهذا في الواقع صورة مقلوبة تجسّد مأساة المرأة التي طالبت بكل شي ولم تطالب بأي شي.

فحق المرأة في التفكير والبحث العقائدي في الوسط الإسلامي يبدأ منه كلّ شي وينتهي عنده كلّ شي، فالمرأة لا تتساوى مع الرجل إذا شاركته في لبسه وعمله وكل ضروب حياته لأنها ستنهزم أمامه عندما تقلد معتقده من غير سؤال أو اعتراض، هذا بالإضافة إلى إنّ هذا الحق أمر فطري وضرورة عقلية، بل فيه مساءلة شرعية، فالخطاب القرآني متساوي بين الرجل والمرأة وآيات البحث والتفكير تخصّ المرأة كما تخصّ الرجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ

وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1]، فالمفاضلة يوم القيامة لا تكون إلا بالأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صالحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وتجاهل المرأة لهذا الحق يمثل حالة من السذاجة والقشرية التي تعيشها المرأة المسلمة اليوم.

هل المرأة على دين زوجها؟.

هنالك مساحة كبيرة جداً بين الأمر الذاتي في الشيء الذي لا يقبل التحول، وبين الأمر الغالب الذي درجت عليه العادة والتقليد، وهذه نقطة حاسمة لفهم كثير من الأحكام الشرعية التي راعت الحالة العرفية، فحكم الإسلام الذي يفرق بين الرجل والمرأة في حكم الزواج من الكتابي حيث يجوز للرجل المسلم دون المرأة المسلمة، وذلك لأن الإسلام يتعامل مع واقع المرأة التي عادةً تقلد زوجها في معتقده ودينه.

---

(١) - سورة الأحزاب / الآية: ٣٥.

(٢) - سورة النحل / آية: ٩٧.

ولكن . . هل هذا واقع محتوم على المرأة بحيث لا يمكن أن تشق طريقها وتثبت جدارتها في الحقل العقائدي؟ .

الإجابة على هذا السؤال قطعاً لا ، فالدين الإسلامي يحاسب المرأة كإنسان ليس له تبعية ، ولها الحرية التامة التي كفلها لها الإسلام في اختيار المعتقد الذي تريده . وقد وضّح لنا القرآن الكريم نماذج في التاريخ لانتصارات منقطعة النظير في هذا المجال ، كآسية بنت مزاحم (رضي الله عنها) ، وهي زوجة أكبر طاغية في التاريخ ، بلغ به الطغيان والكفر حداً جعله ينصب نفسه إلهاً ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[1] ، فتحدّت هذا الواقع الكافر وقامت بالتمرّد على زوجها الطاغية وعاشت مؤمنة ، ولاقت ما لاقت في هذا الطريق حتى تكون سراج هداية في دروب النساء المطالبات للحق ، يقول تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2] . فضرب لنا هذا النموذج القرآني أروع مثل لامرأة مؤمنة لم يتزحزح أيمانها بسبب طغيان زوجها فأثابها الله تعالى بأن جعلها من أفضل نساء أهل الجنة .

---

(١) - سورة النازعات / الآية: ٢٤.

(٢) - سورة التحريم / الآية: ١١.

وكذلك المثال بالعكس فإن كان زوج المرأة مؤمناً لا يكون عاصماً لها من النار إذا لم تكن تستحق الجنة، وإيمان زوجها أو أبيها لا يكون شافعاً لها حتى لو كان زوجها نبياً من الأنبياء، مع كون الأنبياء شفعاء لأممهم قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1].

فبالبحث وإحترام العقل به تنال المرأة حقّها الحقيقي، فالمعيار الحاكم في هذا الإطار ليس الأنوثة والذكورة وإنما الإنسانية بمعناها العام.

ورغم كل ما ذكرت فإن هذا لا ينفي المفارقة الواقعية بين المرأة والرجل، وإن كان هذا لا يرضي كثيراً من النساء المطالبات بالمساواة المطلقة باعتبار أنه لا فرق بين المرأة والرجل سوى المفارقة الشكلية، فحقيقة الإنسان تكمن في عقله والعقل واحد بين الجنسين.

مع أن هذا الطرح يناسبني كامرأة ولكن الأنصاف يمنعني من الالتزام به على إطلاقه، فلو سلّمنا بأن العقل واحد فالعاطفة ليست واحدة، فعاطفة المرأة تفوق بكثير عاطفة الرجل وهذا ثابت بالبديهة،

---

(١) - سورة التحريم / الآية: ١٠.

وبما أن هنالك نزاع بين العقل والعاطفة فتارة يتغلّب العقل وتارة العكس مما يؤدّي إلى أضعاف للعقل؛ وبالتالي إن لم نقل أنّ عقل المرأة ضعيف يمكننا القول بأنه معرض للضعف دائماً، ولا يعتبر هذا نقصاً وإنما كمالاً في المرأة، لأن كل شي يفهم في إطاره فإذا كانت المرأة قليلة العاطفة والرجل كثير العاطفة لكان هذا هو النقص بعينه، وكذلك الخشونة في المرأة نقص وفي الرجل كمال.

وبالتالي لا يمكن المفاضلة مع قطع النظر عن الخصوصيات، فالدعاوى التي تقول أنّ الرجل أفضل من المرأة أو العكس؛ دعاوى لا تستند على أسس علمية، لأن الرجل كائن له خصوصيته وكذلك المرأة ولكل منهما إطاره الخاص ذو القوانين والمفاهيم الخاصة والخلط بين هذه المقاييس مقدمة خاطئة تؤدّي حتماً إلى نتائج خاطئة، لأن التفاضل عادةً لا يتحقق إلا بين أفراد متساوين في الهوية والشخصية، فمثلاً يصح القول أنّ هذا الرجل أفضل من هذا الرجل أو تلك المرأة أفضل من هذه المرأة، وهكذا المعادلة بين الأجناس فلا يمكن أن تقول بأنّ الليمون أفضل من التفاح فالحموضة في الليمون كمال وفي التفاح نقص.

ومن هنا نعرف عندما يكون الحديث حول المرأة والرجل يكون حديثاً عن كيانين بينهما خصوصيات متباينة، نعم هنالك قواسم مشتركة بين الرجل والمرأة ونقاط تلاقي منها كان الاشتراك في

الأحكام الشرعية، ولكن هذا الاشتراك لا يمنع أنّ الشارع يراعي هذا الاختلاف الذي ذكرناه، فجعل شهادة امرأتين في مقابل شهادة الرجل الواحد، وكذلك لم يوجب عليها الجهاد ومبارزة الأعداء.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل نسبة الضعف العقلي المحتمل عند المرأة حاجز ومانع عن البحث العقائدي؟

إنّ الله سبحانه وتعالى خالق حكيم عندما جعل للمرأة عاطفة جياشة إنما جعل ذلك حتى تتمكن المرأة من القيام بمهام خاصة بها وعلى رأس تلك المهام وأعظمها شأناً هي الأمومة التي تعتبر عمود المجتمعات وكهف الأسرة الحنين، فجعل الله الجنة تحت أقدام الأمهات، فهذا هو الإطار الذي نفهم فيه العاطفة، فالبحث العقائدي الذي يستدعي مجهوداً عقلياً ليس هو حكراً على الرجل (باعتبار أن عاطفته قليلة) لأن قلة العاطفة وكثرتها ليست لها مدخلية في استقلالية العقل بذلك، فالحد الذي يكفل للرجل البحث هو ذاته عند المرأة لأنه الحد الذي تشترك فيه التكاليف الشرعية بين الرجل والمرأة.

وإيماناً بهذا المبدأ وتأصيلاً لهذا المنهج أحببت أن أسجّل تجربتي الشخصية في هذا المجال التي مررت بها في نهاية دراستي الثانوية، وهي لا تتعدى كونها تجربة خاصة إلا أنها يمكن أن تكون نموذجاً للنساء الطالبات للحق.

المرأة بين ثقافة البحث.. وضغط الثقافة

إنّ ثقافة البحث والجهد الفكري في الإختيار العقائدي هي من الحقوق الأولى التي يجب أن تطالب بها النساء، وإن كانت المرأة تسعى إلى حرية حقيقة تتشرف بها يجب عليها كسر أغلال الثقافة الهابطة التي ظنّت أنّ بامتلاكها نالت حريتها فانقلبت الصورة وانقلبت معها كل القيم الأخلاقية، حيث أصبحت المرأة في هذا العصر جُلّ اهتمامها الأمور القشرية التي تخصّ مظهرها الخارجي، فأصبح الطرح الثقافي الذي يجلب اهتمام المرأة هو الكتب والمجلات التي تقدّم آخر صيحات الأزياء والموضة، تاركة مجال البحث الفكري والعقائدي للرجل فقط وكأنها غير معنية فيه.

وعند ما تعرضت المرأة للهجمة الشرسة من قبل الثقافة الغربية التي جعلتها سلعة تباع وتشترى، لم تشهر قلمها لتدافع عن حقوقها في الإسلام، تاركة هذا المجال للرجل أيضاً، بل أصبحت تخلع جلباب الإسلام شيئاً فشيئاً.

ومن هنا نخلص إلى أنه إذا أرادت المرأة مراعاة حقوقها المشتركة مع الرجل التي ترى أنها مهضومة فيها، فعليها بالتفكر والبحث العقائدي فهو الذي يكفل لها حريتها وحقها المسلوب منها أو بالأحرى الذي لم تطالب به، وفي اعتقادي أن المغريات التي كانت تدفع المرأة في الأتجاه

المعاكس مع بداية النهضة الحضارية قد أستنفدت أغراضها ولم تبق بتلك الجاذبية التي بدأت بها ، وخاصة عندما تكشفت كثير من المساوىء والآثار السلبية ، فتحتم على المرأة المسلمة أن تتحمل دورها في عملية الصراع الحضاري الذي يتجلّى في أوضح صوره في الإطار الثقافي والفكري في عصر العولمة ، ولتحقيق تلك الغاية المطلوبة لا بد أن تحسم كثيراً من القضايا العالقة في أرثنا الإسلامي وتبين رؤية موحدة تمثل الإسلام بأجلى معانيه لكي نتمكن من أدارة الصراع بجدارة ، ولاستخلاص ذلك لا بد من البحث أولاً في الجدل المذهبي الذي يمثل عبئاً كبيراً على كاهل الاجيال المسلمة ، فتتجلّى الشجاعة هنا بخوض الممنوع وتجاوز الخطوط الحمراء التي رسمتها لنا الأيام الخالية من غير أن يكون لنا وعي فيها ، ولكي تتّسع العقلية الاجتماعية التقليدية لاستيعاب دواعي الخلاف المذهبي لا بد أن نطرق الأبواب بقوة حتى تنفتح على أفق مشرق نكون قد ساهمنا فيه أو على أقل تقدير نكون قد أخترنا ديننا بمحض إرادتنا ، بعد أن كنا نورث حتى أنتماءاتنا وعداواتنا .

منذ البداية كنت هاشمية

إنّ الانطباع الذي يرتسم على مخيلة الزائر للسودان من أول وهلة هو تعدد الثقافات الناتجة من الاختلاف العرقي وتعدد القبائل التي تكون بمجموعها هوية الشعب السوداني مشكلة في ما بينها أروع

تعددية حضارية، فعدد القبائل (٢٥٠) قبيلة على وجه التقريب، ولكل قبيلة عاداتها وتقاليدها التي تختلف عن الأخرى، فهنالك القبائل النوبية صاحبة حضارة وادي النيل منذ تاريخ ما قبل الميلاد وهي من أقدم الحضارات في التاريخ البشري وما تزال أثارها موجودة في شمال السودان وتتحدث هذه القبائل باللغة النوبية.

وهنالك القبائل الأفريقية في جنوب السودان مثل قبيلة (الدينكة) التي تعتبر ثاني أكبر قبيلة في العالم وقبيلة (النوير) و(الشُلك) وغيرها، وهي قبائل ذات عادات وتقاليد أفريقية ولكل قبيلة منها لغتها الخاصة بها.

أما في غرب السودان فهنالك مزيج من القبائل مثل قبائل (الفور) وهي قبائل مشتركة بين السودان وتشاد وكانت لهما حكومة خاصة تسمى سلطنة الفور، وقبائل أخرى لها لغتها ولهجاتها الخاصة.

أما شرق السودان فهنالك قبائل بدوية تسمى (بالبجة) وهي تضم مجموعة من القبائل مثل (الهدندوة) و(البشاريين) و(البني عامر) وغيرها، وتتحدث هذه القبائل بلغة خاصة أيضاً، وكذلك في شرق السودان هنالك قبيلة عربية تعتبر من آخر القبائل التي نزحت إلى السودان قبل (٢٠٠) سنة وهي قبائل الرشايدة من الجزيرة العربية وهي مازالت محافظة على عاداتها البدوية.

أما القبائل العربية في السودان فهي كثيرة تقطن معظمها في شمال ووسط السودان ويرجع لها الأثر الكبير في تعريب وإسلام السودان ومعظمها من الجزيرة العربية.

رغم هذا التباين العرقي الذي يتكون منه الشعب السوداني إلا أنه بفضل دخول الإسلام إلى السودان أصبح مجتمعاً مترابطاً تسوده القيم والفضيلة الإسلامية، فمنطقة واحدة يسكنها خليط من القبائل ذات طباع وعادات مختلفة تربط في ما بينهم علاقة حميمة، وهذا يرجع أولاً إلى تعاليم الإسلام، وثانياً إلى كيفية دخول الإسلام إلى السودان، حيث دخل مسالماً بالدليل والبرهان لا بالقهر والإجبار.

وقد لعب الهاشميون دوراً كبيراً في تثبيت دعائم الإسلام، إذ يرجع إليهم الفضل في تأسيس نظام الخلاوي في السودان، وهي عبارة عن معاهد متخصصة في العلوم الدينية، التي تركت بصمات واضحة في تكوين الهوية الدينية، ويعود نسب بعضهم إلى الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) مثل (المراغنة) و(الجعافرة، نسبة إلى الإمام جعفر الصادق) وغيرهم من السادة الأشراف العلويين، ومنهم من ينتسب إلى العباس بن عبد المطلب، ، ويلقون جميعاً احتراماً وتبجيلاً.

وقد نشأتُ في هذا المجتمع حيث ترجع أصولي إلى شمال السودان من قبيلة (الرباطاب) وينتسب أجدادي إلى العباس بن عبد

المطلب، ونسمّى بـ(بالعبابسة)، ومازال ضريح جدي يزار في منطقة تسمّى (نادي) وهو الذي أسّس أول خلوة لتعليم القرآن والعلوم الإسلامية في هذه المنطقة التي سميت بـ(نادي) لأنها كانت نادياً لمدارسة العلوم الدينية، فكان لذلك العرق الهاشمي الذي ينبض في كياني الأثر الوجداني في تكوين شخصيتي التي تربت في أسرة هاشمية أباً وأماً ملتزمة بتعاليم الدين، يسودها حنان الأم وعطف الوالد والعلاقة الحميمة بين الأخوان، أمضيت طفولتي في مدينة (شندي) في شمال السودان، وكان العالم بالنسبة لي هو السودان حتى قمنا بالسفر إلى منطقة الخليج العربي (سلطنة عُمان) بسبب عمل الوالد، عندها تعرفت على قبائل مختلفة ذات عادات وثقافات مختلفة، وسّعت من مداركي ومعرفتي، فحينها عرفت تعدّد المذاهب في الإسلام حيث كان معظم أهل عُمان يعتنقون مذهب (الأباضية)، بعد أن كنت أعتقد أن العالم الإسلامي كله مالكيٌ كما عندنا في السودان.

وكنت دائماً استشعر عظمة الإسلام الذي هو الرابط القوي بين كل الدول الإسلامية وبسببه يمكن أن تتعايش كل الشعوب مع بعضها وإن اختلفت أصولها قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا﴾[1].

---

(١) - سورة الحجرات / الآية: ١٣.

وبعد أربعة أعوام رجعنا إلى السودان، وكان ذلك بعد فترة وجيزة من استيلاء الجبهة الإسلامية على زمام الحكم في البلاد ورفع شعار الحكم الإسلامي، والسيطرة التامة على المؤسّسات الحكومية والمدارس والجامعات ومن ثم استقطاب أكبر عدد من الشباب والشابات الذين كانوا يمثلون طليعة الحركة الإسلامية في السودان.

فأزداد نشاطهم داعين الناس باسم الدين للالتزام بحركتهم، حتى أصبح الفكر الذي يسيطر على الشارع السوداني هو الفكر الإسلامي، وكان ذلك حافزاً لبدء مشواري في البحث العقائدي.

خطوات في أول الطريق

أثناء دراستي في المرحلة الثانوية، كانت هناك مجموعة من الزميلات يلقين محاضرات دينية في فترة الاستراحة، وقد دعونني إلى الاشتراك معهن نظراً لما رأوه مني من التزامي بالحجاب، فضلاً عن علاقتي الوثيقة مع بعض المسؤولات عن برامج المحاضرات.

كنت أذهب للاستماع وكانت المحاضرات تتناول العديد من المواضيع اغلبها حول انشغال الإنسان عن الآخرة واهتمامه بالدنيا، وما ينبغي للإنسان فعله للاستفادة من هذه الدنيا الزائلة، والتفكّر في الحقيقة الحتمية للإنسان مهما طال

عمره فإن الموت هو مصيره ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[1]. عندها بدأت تنتابني حالة من الخوف...

فلو فاجأني الموت في هذه اللحظة.. ماذا يا ترى قدمت لآخرتي سوى الذنوب والمعاصي..؟

وماذا عليّ أن أفعل إذا كنت أريد أن أغير مسار حياتي؟

ما هو الطريق الصحيح الذي يجب أن أسلكه لأصل إلى النجاة؟

حقاً.. كنت خائفة أشد الخوف، وبدأت أفكر في الموت كثيراً حتى كان يخيّل لي أني سأموت بين الحينة والأخرى، فأصبحت تصرفاتي تختلف عن الفتيات اللائي في عمري من حيث اهتمامي بنفسي.

حينها فكرت في الانضمام إلى (الجبهة الإسلامية).. فأقترب منهم حيناً وابتعد حيناً.. فبين الخوف من الموت وبين الحيرة والخوف من المجهول.. لا بدّ أن أتخذ لنفسي طريقاً من بين الطرق التي بدأت تتشعّب أمامي فلم تكن الجبهة هي نهاية الطريق كما كنت أتصوّر وإنما بداية الحيرة والشك فعندما اقتربت منهم اكتشفت أشياء حجزت بيني وبينهم، التجسّس وسوء الظن في الجميع ومراقبة أعمالهم، كأنّ التنظيم هو الهاجس الأكبر عندهم، فهل يا ترى هذه سياسة الدين؟!.. أم هو دين السياسة؟!، فحكومة الإسلام هي نقطة في

---

(١) - سورة الرحمن / الآية: ٢٩.

أول الطريق لخدمة أهداف وقيم كبيرة وليست غاية في حد ذاتها، فكانت الميكافيلية واضحة في تصرفاتهم فالوسيلة تبررّها الغاية وإن كانت الوسيلة محرّمة، فيمكن أن تكون الموسيقى والغناء والاختلاط حلالاً إذا كان وسيلة إلى تجنيد الشباب، وكذلك التزوير والكذب والخداع يكون جائزاً في سبيل الفوز في الأتنخابات للحصول على رئاسة اتحاد الطلبة، وهكذا خلط دائم بين قيم السياسة وقيم الدين مما جعل شعاراتهم أطراً فارغة من غير محتوى.

وما كدت أن أقلب تلك الصفحة حتى تراء لي عنوان الصفحة الأخرى، الوهابية.. فأثار فضولي وجذب أهتمامي فقد كنت كثيرة الاستماع إلى محاضراتهم وقراءة كتبهم ذات المظهر الجذاب والمتواجدة بكثرة ومجانا في أيدينا.

وقد أخذ هذا الخط في النمو والازدياد مع كون المجتمع السوداني تغلب عليه الحالة الصوفية، ولكن بسبب الحالة المادية البسيطة في السودان والإمكانات الهائلة التي يتمتّع بها هذا الخط دفعت كثيراً من الناس إلى الانضمام إليهم، ولهذا نجد أكثر المناطق انتشارا فيها هي المناطق الريفية التي زيّنوها بمساجدهم الفخمة والمراكز الصحية وغيرها من المنشآت الخيرية، فقد كنت مثل غيري قد أعجبت بهذا الخط وخاصة شعارات التوحيد التي يرفعونها دائماً، ومظاهرهم التي

يوحون بها إلى الناس أنها صورة المسلم الأول الذي تعلّم من رسول الله والسلف الصالح، معتبرين أنفسهم يقلدون الرسول(ﷺ) وأصحابه في لبسه وكيفية تصرفاته مما يجعل الإنسان البسيط ينخدع أمام تلك المظاهر كما انخدعت أنا عند ما رأيت حجاب المرأة عندهم، فهذا المظهر الذي تخرّج به الوهابية من حجاب كامل لجسدها بما فيه وجهها وكفيها صورة لم تكن مألوفة في مجتمعنا مما جعلني أتصور أن هذا هو النموذج الذي يمثل الإسلام الحقيقي، وهذه النظرة القشرية لظواهر الأمور كانت هي السبب الذي جعل كثيراً من النساء ضحايا المد الوهابي، فكل ما تعلمته منهم هو التوحيد الذي يقتضي تكفير كل المسلمين وليس التوحيد الذي يمثل ظلال وارفة يستظل تحته كل المؤمنين، فأنظر إليهم تارة وأنظر إلى أجدادي الهاشميين الذين كان لهم السبق في دخول الإسلام إلى السودان تارة أخرى فهل كانوا كفاراً بما عرفناه عنهم من التوسّل بالصالحين وزيارة مراقد الأولياء، لم يخلق هذا الأمر أزمة نفسية عشتها كتجربة فردية وإنما حالة عامة استنفرت كل جهود المسلمين في السودان في الوقوف ضدهم مما جعلني أتريث وأتأمل، ولم يكن هذا هو الحاجز الوحيد إذ أكسبتني تجربتي مع الجبهة الإسلامية أن أتعرف على البعد الحضاري والحركي فقد كانت شعارات الجبهة محط إعجابي من ثقافة التجديد والنهضة وحكم الإسلام وبناء حضارة

إسلامية بطابع عصري، فقد كان هذا الخطاب غائباً عن الخط الوهابي وكأنّ رسالة الإسلام الحفر في الذاكرة التاريخية لكي تكون لنا مقابر بين السلف الصالح ليشملنا رضوان الله معهم

مفارقة بين الخطّين... المرأة وحقّها في العمل

حرية المرأة في العمل محور خلاف بين المذاهب الإسلامية كغيرها من محاور الخلاف في الجدل الفقهي، وقد أصبح هذا الخلاف أكثر إلحاحاً في هذا العصر، فضرورة الحياة المدنية تستدعي أن يدخل المجتمع بكلا نصفيه الرجال والنساء في حالة سباق مع الزمن العصري الذي فرض نظاماً يحتاج فيه إلى (الطبيبة، المعلمة، المهندسة، بل مراكز اجتماعية وسياسية عالية مثل الوزارة).

ولمراعاة هذا الواقع لابد من تحديد إطار ديني سليم يكفل للمرأة أن تمارس جميع حقوقها من دون تنازل عن قيمها الدينية، ومن أجل خلق هذا التوازن بين الضرورة العصرية وبين حفاظ المرأة على خصوصياتها الدينية، ارتبكت كثير من النظريات الإسلامية في خلق هذا التوازن، فالمرأة في الإسلام ليست كائناً منبوذاً بحيث لا يجعل لها الإسلام إطارها الخاص الذي يكفل لها حريتها في العيش بشكل طبيعي، فالإسلام من أكثر الأديان التي تحترم المرأة، وتوفر لها مكانتها الإنسانية في المجتمع، فيمكنها الخروج للعمل بشرط بعض

القيود التي لا تحول عن أداء وظيفتها، وبذلك تستطيع أن تمارس المهن التي تحتاجها فيها أختها المسلمة، فالمرأة الآن لا تجد حرج في الذهاب إلى المستشفى فهناك طبيبة يمكنها الفحص لها بدون حرج، وهكذا غيرها من المهن الأخر التي يمكن للمرأة أن تخدم فيها المجتمع.

كما أن تعليم المرأة أصبح ضروريا في هذا العصر، حتى تستطيع أن تمارس التربية بكل وعي وإدراك بما يجري حولها في العالم الذي أصبح كالقرية، فكلما كانت المرأة واعية ومتفهمة لما حولها، تكون أكثر حرصا على حماية أسرتها من أي ضرر خارجي.

ومن المتناقضات التي وجدتها عند الجبهة الإسلامية والوهابية في هذا الأمر، هو التباين بين طرح الجبهة الإسلامية الداعي للانفتاح، والوهابية الذين يدعون إلى الانغلاق المطلق، حيث يحرّمون على المرأة الخروج من منزلها للعمل وإن التزمت بالحجاب، فمكان المرأة بيتها فقط، فأولاً بيت أبيها، ثم بيت زوجها، ثم إلى قبرها، هذه ثلاثة مناطق يمكن أن تخرج إليها، وما دون ذلك إذا خرجت من غير محرم تكون في دور الزانية.

وهذا الإفراط في النظرة الوهابية يقابله تفريط عند الجبهة الإسلامية التي ترى أنه يجوز للمرأة ممارسة كافة المهن، حتى خوض المعارك وحمل السلاح مع أخيها الرجل، فبسبب الحرب الموجودة في

جنوب السودان، نجد بعض الفتيات يتركن دراستهن أو عملهن ويحملن السلاح ويركبن الخيول مع الرجال باعتبار أنه جهاد في سبيل الله، فخروج المرأة إلى الجهاد لا يعتبر كسباً حققته المرأة في كفاحها المستميت للتساوي مع الرجل، فالمرأة مهما بلغت درجة قوتها فهي كائن ضعيف لا تقوى على حمل السلاح وإن قويت فهو أمر لا يتناسب مع طبيعتها للدخول في الحرب مثل الرجل، أما من الجانب الشرعي فلا تعتبر المرأة نظيرة للرجل في الأجر والثواب إذا جاهدت في سبيل الله بدخول المعارك، فقد جعل الإسلام للمرأة ما يساوي أجر الرجل في الجهاد، فعندما تأتي امرأة إلى الرسول(ﷺ) لتستأذنه في الذهاب إلى الحرب وذلك للفوز بالأجر العظيم، كان الرسول يرفض ذلك، ويذكر أن جهاد المرأة حسن تبعّلها لزوجها.

إذاً... ماذا يسمح للمرأة؟

وماذا لا يسمح لها ...؟

إنّ الأجوبة تختلف باختلاف المقاييس التي تصنعها المبادىء والدين.

و في رأيي أنّه يسمح للمرأة بكل شيء في إطار واحد هو: أن تكون المرأة إنسانة كاملة، فيسمح لها بمزاولة جميع النشاطات شريطة الحفاظ على عفة الجسد.

وهذا المقياس يعتمد على دراسة علمية وواقعية للمرأة، كإنسان وكأنثى. فالمرأة امرأة أولا . . وإنسان ثانياً.

لهذا لا يجوز إعطاءها كامل الحرية في استغلال أنوثتها على حساب إنسانيتها، وعلى هذا الأساس، فأيّ استغلال لجسد المرأة ومحاسنها حرام في عادات وتقاليد المؤمنين بهذا المقياس ... فالإسلام يمنع من:

١- ترشيح المرأة نفسها للقيادة.

٢- دخول المرأة في التجنيد.

و ليس كل ذلك إلا إكراماً للمرأة وليس تنقيصا لها، كما أن القانون عندما يمنع رئيس الجمهورية من مزاولة كنس الشوارع والاشتغال بالوظائف الصغيرة إنما يكرّم الرئيس وليس يهينه.

قد يظن البعض أن الإسلام يفضّل الرجل على المرأة، ولكن الإسلام ليس فقط لا يفضل الرجل على المرأة، وإنما يمكن اتهامه بأنه يفضل المرأة على الرجل.

أليس هو الذي يقول: «**النساء أمانة الله عندكم فلا تعضلوهنّ ولا تضارّوهنّ**».

و أليس هو الذي يقول: «**كفى بالمرء إثما أن يضيّع ما يعول أهله**».

أليس هو القائل: «**أي رجل لطم امرأته لطمة، أمر الله (مالك) خازن النيران فيلطمه على حرّ وجهه سبعين لطمة في نارجهنّم**».

إن ذلك يكشف عن مدى احترام وتقدير الإسلام للمرأة، وهذا التقدير هو الذي يدعو الإسلام إلى تحديد مجالات العمل للمرأة، فلا يلزمها بالجهاد معتبرا: «**جهاد المرأة حسن التبعّل**» أي إدارة البيت وتربية الأولاد، ويمنعها من مسئولية القيادة لأن نفسيتها الرقيقة لا تسمح لها أن تخوض المعارك وتجابه المشاكل وتتورط في الأزمات.

إنّ «أنوثة المرأة» تتغلب على المرأة في كثير من الأحيان، فمن العبء إذاً إلقاء أزمة الحكم والقيادة على كتفيها)[1].

بين ألم الشك.. وخداع الذات

من أصعب اللحظات التي يعيشها الإنسان هي الحيرة والشك والتردّد، وهي من الآلام المعنوية التي لا يتمكن الإنسان من وصف عمقها ومداها، ومن هنا كانت السعادة ذات مفهوم معنوي وليس تصوّري، وفي اعتقادي أن السعادة هي الحالة التي تقابل حالة الشك والاضطراب، فاليقين والاطمئنان هي حقائق يسعى الإنسان إلى اكتسابها، هذا ما جعلني أشك في أصل شرعية البحث في مذاهب الإسلام، فقد اضطرب حالي منذ أن بدأت بالتفكير في المذاهب وتبدلت تلك الحالة التي كانت

---

(١) - السيد هادي المدرسي: المرأة والدور المطلوب.

فيها نوع من الصفاء والنظرة المثالية لواقع الإسلام، وبدأت تهتز في يدي تلك المرآة الصافية التي أنظر من خلالها إلى وحدة الأمة الإسلامية، فقد بدأ لي أني بدأت الطريق بالمقلوب فبدل أن أصل إلى الاطمئنان زوبعت في نفسي سحب وعواصف خلخلت كل كياني وأرجعتني إلى نقطة الصفر، هل يمكن أن يحدث في الإسلام كل ما حدث؟ ألم يتكفل الله بحفظه؟ وكيف يكون الشيء محفوظاً بين هذا الشتات؟

عشت أسلّي نفسي بتلك الصورة القديمة، وأقنعها بذلك الواقع الموروث، لحظات هي التي يسكن فيها روعي عندما أنشغل بأمور الدنيا، ولكن ما زال شبح الموت يلاحقني، ويخنقني حتى لا يكاد يسع صدري أنفاسي، فأتوجه إلى الله بقلب كأنه ليس بقلبي.. قلب لا يرى في الوجود غير نفسي وربي فأجد في المناجاة حلاوة لا يمكن أن يتذوقها ذهني، فتصيح أعماق كياني أنت الحق ياربي، ولكن كيف الوصول إليك وقد أظلمت من الشك نفسي؟!..

وكأن نداءاً يخترق أذني... أقتحم المجهول، فذاك الشك هو الطريق إلى المطلوب، وتلك الصورة الجميلة هي استرسال مع المجهول، فالاطمئنان أما أن يكون حقيقة مبنية على العلم وحينها تزول الجبال ولا يزول، وإما خداع للنفس سرعان ما يزول، وهذا هو خداع ألذات الذي كثيراً ما ينخدع فيه الناس، فأول حقيقة علمية

تشكلت عندي في تلك المرحلة إن الإسلام يمكن أن يقع فيه الاختلاف بسبب المنهجيات المتعددة ودوافع الفهم المختلفة، فقد أثرت الظروف السياسية والاجتماعية على طول الحقب التاريخية في إفراز مدارس متباينة كلها تنتسب إلى الإسلام، حتى أصبح الصراع العقائدي حالة شبه طبيعية في المنظومة الإسلامية، كانت هذه الحقيقة بمثابة مفتاح مهم لأنها تمثل في البدء الاعتراف بالواقع مما يؤهلني في خوض غمار البحث بدل أن يغمض الإنسان عينيه ويمني نفسه بمثالية الواقع.

والحقيقة الأخرى هي أنّ كل هذه المذاهب لا يمكن أن تكون ممثلة لحقيقة واحدة وهي الإسلام المحمدي، إلا إذا أعترف العقل بإمكانية اجتماع المتناقضين وهو محال، في حين إنّ هذا الخلاف لم يكن شكلي في بعض الرسوم الخارجية بعيداً عن المضمون والجوهر كما يمني البعض نفسه، وإنما خلاف يبتدئ من المسائل الفقهية التي تمثل شعار الإنسان المسلم مروراً ببعض المفاهيم الجوهرية التي تتشكل منها الانتماءات المذهبية انتهاءً بعمق المفاصل العقدية المتمثلة في التوحيد.

فمن هنا لا يصح القول أنّ كل الطرق مؤدية إلى روما، كما لا تصح الادعاءات المطلقة لكل مذهب بأنه هو الحق وغيره باطل وضلال، فلا عقلية التسامح الصوفي ولا عقلية الجمود المذهبي هي الحاكم في بناء البحث العلمي.

فاللا منطق والقفز على مدركات العقل حالة سلبية لم تكرس فقط الفوضى المذهبية فقد امتدت يداها لتعبث في واقعنا الحياتي حتى أدمّنا روائح التخلف وعشنا في ركام الواقع خوفاً من المجهول.

فكيف تكون كل المذاهب على حق والحق واحد لا يتعدّد؟! وحكم العقل يقتضي أن يكون هنالك طريق واحد يمثل دين محمد(ﷺ) والعجب كل العجب أن يتفّق الفرقاء على وجود فرقة ناجية من بين الفرق، فقد أكد رسول الله(ﷺ) بقوله: «**ستفترق أمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**» ألا يكون ذلك حافزاً على تنبيه العقل، وإيقاظه من حجب الموروث، فكيف يكتفي كل إنسان بما ورث من المذاهب ثم يمني نفسه بالنجاة، ألا يحفز ذلك الإنسان على ضرورة البحث الجدي لمعرفة الفرقة الناجية التي بشّر بها رسول الله(ﷺ).

فهل هناك ضرورة إذاً للبحث في المذاهب لاختيار الطريق عن يقين دون تقليد؟ أم هل هو المصير المحتوم بمصير الآباء والأجداد...؟

وما هو السبيل إذا لم يكن المصير محتوماً؟

السبيل هو الحقيقة الثالثة التي أعانتني في مواصلة الطريق وهي الانفتاح والحوار مع الجميع، فالإيمان بهذه الحقيقة يكشف ذلك الستار المضروب عن كل المصاعب التي صنعها الإيمان باللامعقول، ولذا كان الحوار سنّة الله، فلا بد أن يكون هو الحاكم لنتمكن من فرز الحق عن

الباطل والعلم عن اللا علم، ومن هنا نرفض كل الدعاوى القائمة على التحجّر ونكران الآخر لا لشيء إلا لأنه هو الآخر، فإن كان الحوار شعاراً يتغنى به الجميع، فلماذا ينغلق صاحب كل مذهب على مذهبه؟ ولماذا لا يكون النقاش والحوار هو الثقافة السائدة بين كل مذاهب الإسلام؟ ألم يقل تعالى: ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[1].

ولذا كان الحوار أول ركيزة منهجية ارتكز عليها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بداية من خلق آدم والحوار مع إبليس للسجود لسيدنا آدم قال تعالى: ﴿إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ * قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ * قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[2]، إلى عهد خاتم الأنبياء محمد(ﷺ) الذي فتح باب الحوار مع المشركين وأهل الكتاب مع كونه يمثل الحق المطلق قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ﴾[3].

---

(١) - سورة البقرة / الآية : ١١١.

(٢) - سورة ص / الآية: ٧١-٧٧.

(٣) - سورة سبا / الآية: ٢٤.

هذا هو منهج القرآن في التعامل مع الخصم فيجعل لهما كامل الحرية في الاستدلال والبرهنة، وهذا الأسلوب يقودنا لاستعمال عقولنا المقفلة دائماً بحجة أن آباءنا على هذا المذهب قال تعالى:
﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[1].

بداية الطريق

رسمت لي هذه الحقائق الثلاثة معالم الطريق، ولكنها لم تخرجني من تلك الحيرة فما زلت أتخبّط بين الجبهة الإسلامية والوهابية والإرث الصوفي الذي درج عليه أغلبية المجتمع، إلى أن اكتشفت الحقيقة الرابعة وهي أن السودان لا يمثّل كل الإرث الإسلامي فهناك مذاهب ومدارس لا عهد للسودانيين بها، بقدر ما كانت هذه الحقيقة بسيطة إلا أنها وسعت إطار البحث أمامي، وحينها تذكرت سلطنة عمان والإباضية فيها، فمن هم؟ وما هي عقيدتهم؟ لم أجد في الموروث السوداني أجابة عنها إلا أنهم هم الخوارج الذين حاربهم الإمام علي(عليه السلام) وندمت على تلك السنوات التي قضيتها بينهم ولم تمر على خاطري تلك الأستفهامات، وهكذا بدأت تطرق سمعي بعض التسميات، التكفير والهجرة، البلاغ والدعوة،

---

(١) - سورة البقرة / الآية: ١٧٠.

الشيعة . . . فهل ياترى يسعفني العمر لمعرفة كل تلك المذاهب ومن ثم أختار الحق من بينها؟ سؤال شكّل عندي يأساً وإحباطاً، فهذا بحر لا شاطئ له، حتى اكتشفت من فرط التأمل الحقيقة الخامسة وهي أن الخلاف بين كل المذاهب التي تنتسب إلى الإسلام بدأ من نقطة واحدة ثم اتسعت الزاوية حتى انفرجت لتشمل كل هذا التباين المذهبي، مما جعل البحث بينهم مستحيل، فكان التفكير السليم يقتضي بداية البحث من تلك النقطة حيث كان الخلاف محصوراً وبمعرفة ممثل الحق في تلك اللحظة يمكنني التدرج معه إلى هذه اللحظة، فشكّلت هذه الحقيقة حقيقة أخرى وهي إن الإسلام في زمن رسول الله(ﷺ) كان ديناً واحداً من غير أي مفاهيم متباينة ولم يدب الخلاف في الأمة إلا بعد رحيل رسول الله(ﷺ) إلى الرفيق الأعلى، فكانت هذه بداية فرط العقد فرسول الله(ﷺ) كان سداً منيعاً أمام التفرقة والاختلاف، فخطر في بالي تصور عجيب . .

لماذا لم يخلقنا الله تعالى في زمن الرسول(ﷺ) لكي نلتف حوله ونضمن بذلك نجاتنا؟ ولِمَ لَم يجعل الله الرسول حياً يرزق إلى زمننا زمن الريب والشك لكي يسد الطريق أمام كل المرتابين؟ وإذا كان الموت هو القدر المحتوم حتى للرسل، فلماذا لم يجعل لنا الرسول وسيلة تكون لنا ضمانة من الاختلاف من بعده؟ هذه الإستفهامات

الحائرة كانت هي الخطوات التي أوصلتني إلى درب الأمان، فتحول البحث من داخل المذاهب إلى تاريخ الإسلام ودراسة نشوء المذاهب، ولكن أحدثت هذه النقلة أزمة جديدة وهي اقتحام المقدّس وحرمة نبش المقابر فتلك أمة قد سبقت لا نسأل عما فعلوا، فكان هذا أكبر حاجز وقف بيني وبين بداية البحث بعد أن عرفت بداية الطريق، فوقفت في ذلك الطريق أنظر هنا وهناك.. لعلي أجد من المارة من هو متجهاً إلى مقصودي فيشجعني لاقتحام ذلك التاريخ.

وطرق التشيع بابنا

وفي غمرة تلك الهواجس التي تتزاحم على خاطري كان في بيتنا ازدحاماً من نوع آخر، فقد بدأ الأهل بحزم أغراضهم بقصد السفر إلى قريتنا في شمال السودان، فهناك مناسبة زواج ابن عمي وفي تلك المناسبة تجتمع كل العائلة قادمة من كل مدن السودان، فظروف العمل تفرّق البيت الواحد وتفصل الأحبة عن الأحبة، خاصّة أن المسافات في السودان بين المدن كبيرة ويتعسّر على الأهل مقابلة بعضهم إلا في بعض المناسبات.

ففرحة اللقاء بالأهل والأقارب أسكنت ذلك البركان الذي يتنفّس في أعماقي، وازدهرت الحياة من جديد في ناظري، وفي طول الطريق لم أفكر إلا في أخوالي وأعمامي وخالاتي وعماتي..، لعل

بين أحضانهم الدافئة اطفي آلام الألم والشك والحيرة، ولعل ذكريات الطفولة بين بيوتات القرية القديمة الواقعة بين ضفاف النيل وخدرة النخيل وبين السلسلة الجبلية كأنه عقد ألتف حول عنقها ليجعل منها عروساً للنيل أو يجعلها آية لسحر الطبيعة الفاتنة التي تجلى الباري في صنعها، فلعل روحي تعشق جمال الخالق وتسرح به بعيداً فتنتابها جذبة صوفي تنكشف معه الحقيقة.

ثم جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، وانكسرت تلك الريشة التي كادت أن ترسم لي عطلة بعيدة عن كل ما يهيج نفسي، فصراع الأديان وصراع النفس مع الاختيار لم أكن أتوقع أن يلحقني في تلك القرية النائية ويطرق باب بيتنا، ومن الطارق يا ترى.. شيء غير مألوف.. وشخص غير معروف.. من..؟ الشيعة.. نحن في السودان ليس في النجف أو طهران... أم مع تغير الزمان تتغير أيضاً البلدان؟.

لا.. لم تتغير البلدان والطارق من السودان، فهو خالي، ومجموعة أخرى من أقاربي، فقد كان صادق احساسي فالتغير الذي لاحظته في خالي في سلوكه وكلامه لم يكن معهوداً، فقد كان شاباً عصرياً منفتحاً على الحياة كل ما كان يشغله دراسته الجامعية، فتبدّلت تلك الصورة بهذه الصورة ناسكاً عابداً لا يتحدث إلا في أمر الدين.

. . فقلت أصدقني القول يا خالي أهو الدين الذي غير ذاك الحال؟

قال: الشيعة . .

قلت: ماذا؟

قال: الشيعة . .

نعم الشيعة . . فكانت تلك الكلمات هي صوت دقات الباب .

من هم الشيعة

استرسل خالي في الحديث مبيناً من هم الشيعة، واضعاً إصبعه على أسس الخلاف بينهم وبين أهل السنة، ومدى أحقيتهم في هذا الخلاف، فقد كنت لا أعرف عنهم إلا أنهم هم الذين يدعون بأن الرسول(ﷺ) بعد وفاته لم يترك الأمر شورى، وإنما قام بتعين الإمام علي(عليه السلام) خليفة من بعده، وما جرى في التاريخ من خلافة سيدنا أبي بكر وعمر ما هو إلا غصب لحق الإمام علي(عليه السلام) الشرعي .

فقد أكد خالي أنّ الخلاف المذهبي هو خلاف في عمق آليات الفهم الديني ولذا كان أيمان الشيعة بأهل البيت كمرجعية معصومة لقطع الطريق أمام دواعي الخلاف الديني، ، فالضرورة العقلية قاضية بأن وحدة المرجعية هي كفيلة بجمع الصفوف وحل التباين، فإذا كان الله حريصاً على هداية الناس وهو كذلك فقد أرسل الأنبياء والرسل

وأيّدهم بمعجزاته حرصاً على هداية الناس، فلما تجاهل هـذه الحقيقـة العقلية الحاكمة بضرورة وجود مرجعية معصومة، ألا يكون لنا حجـة يوم القيامة إذا سألنا عن سبب تفرقنا إلى مذاهب بأن نقـول لـم تجعـل لنا علماً هادياً نقتدي به ونلجأ إليه كمـا كـان يفعـل الصحابـة في عهـد رسول الله(ﷺ)، فجوهر الخـلاف بـين السـنة والشـيعة في هـذا النقطـة المحورية، حيث يدعي الشيعة أن حكمة الله تقتضـي أن ينصـب لنـا الله إماماً من بعد الرسول(ﷺ)، ألا تجدين في نفسـكِ إن كـان هنـاك مثـلاً عشر أشخاص ينوون القيام بعمل ما، فإن كان هنـاك قـائد مـن بينهـم يلجأون إليه ويأتمرون بأمره ألا يكفل ذلك وحدتهـم وجمـع صفهـم، أما إذا كـان كـل واحـد منهـم يعمـل برأيـة فسـوف ينقـلب جمعهم إلى عشرة طرق كل فريق بما لديـه فـرح، فنقطـة بدايـة الخـلاف بـين السـنة والشيعة في هذا الأمر تمسك الشيعة بضرورة حكم العقل ولـم يعـترف السـنة بذلـك الحكـم، ولا تعتقـدي أن هـذا الحكـم العقلـي بعيـد عـن الحكم الشرعي، فالقرآن أيضاً قاضياً بهذا الحكم، ألا يكفيك في هـذا الأمـر أن الله لـم يوكـل للبشـر اختيـار أنبيـاءهم بـل هـو الـذي ينتجـب ويصطفي من عباده ما يشاء، فإن لم يكن للبشر خيرة في تنصيـب مـن يخصّه الله بالنبوة والرسالة كذلك ليس لهم الخـيرة في تعـين مـن يقـوم بأمر دينه ألم يقل تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّـــةً يَهْـــدُونَ بِأَمْرِنَـــا﴾[1]

(1) - سـورة الأنبيـاء / الآيـة: ٧٣.

فالجاعل هو الله، فهذه هي سنة الله ولن تجد لسنته تحويلا، ثم أنّ أساس الخلاف في هذه الأمة هو فيما بعد الرسول(ﷺ)، فأهل السنة والشيعة متفقون بشكل ما على الإيمان بالله والرسول، والخلاف كل الخلاف في ما بعد الرسول(ﷺ) وقد ذكرت لك أن الضرورة العقلية حاكمة في هذا الحال بأن يكون لنا أمام من بعد الرسول وقد حكم القرآن أيضاً بهذه الضرورة في قوله تعالى ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[1] فقد بيّنت هذه الآية ثلاثة محاور أساسية وهي الله، والرسول، وولي الأمر، فلم تستثن هذه الآية موضوع الإمامة مما يعني إن الدين لا يكتمل إلا بهذه المحاور الأساسية، وإذا تدبّرت في هذه الآية بشكل أعمق تكتشفين حقائق أكثر بعداً، فإذا نظرنا إلى لفظة ﴿أَطِيعُوا﴾ نجد أنها تكررت في الآية مرتين المرة الأولى توجب الطاعة لله، والثانية توجب الطاعة للنبي، فلماذا تكرّرت إذاً؟ فإن كانت الطاعة لله وللرسول واحدة كان بالامكان العطف ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[2] من غير لفظة طاعة جديدة، ويتحقّق بذلك المعنى، ولكن هذه دلالة على الفرق بين الطاعتين فطاعة الله عبادة وطاعة الرسول امتثال لأوامره، هذا ما يقودنا إلى الاستفسار عن عدم تكرار لفظة الطاعة مرة ثالثة في أولي الأمر، فلو أستخدم القرآن لفظة ثالثة

---

(١) - سورة النساء / الآية: ٥٩.

(٢) - سورة الأحزاب / الآية: ٣٣.

﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] لدلّل على الفرق بين الطاعتين وحين لم يستخدم ذلك بل عطف طاعة أولي الأمر على طاعة الرسول علمنا إن طاعة أولي الأمر هي عين طاعة الرسول(ﷺ) وهي طاعة على سبيل الجزم والحتم، هذا ما يقودنا إلى حقيقة عميقة وهي عصمة أولي الأمر وإلا كيف يأمرنا الله بالطاعة المطلقة لمن هو يرتكب المعاصي فيكون أمراً من الله بالمعصية التي نهي عنها الله، فيجتمع بذلك الأمر والنهي في موضع واحد وهو محال فتعين بذلك عصمة أولي الأمر، وبذلك يكون رسم الله لنا معياراً نتعرف به على ولاة أمورنا وهو العصمة، وبهذا تسقط خلافة كل أمام أدعى الخلافة وهو غير معصوم، فالخلفاء الراشدون لم يدعوا العصمة لأنفسهم فضلاً على أدعاء الآخرين، فمن هذه النقطة الجوهرية أنطلق الفهم الشيعي يبحث عن ولاة الأمر الذين عصمهم الله من الخطأ، ولم يجد الشيعة بنص القرآن غير أهل البيت(عليهم السلام) الذين طهّرهم الله من الرجس، وقال تعالى في حقّهم: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾[2] فقد حصر الله في هذه الآية أهل البيت وخصّهم بالطهارة من كل رجس ودنس أو بمعنى آخر عصمهم من الخطأ، وبمعرفة المعصومين نكون قد عرفنا من هم أئمتنا وولاة أمورنا

(١) - سورة الأحزاب / الآية: ٣٣.

(٢) - سورة الأحزاب / الآية: ٣٣.

في تلك الآية، فتكون الطاعة واجبة على كل مسلم لله تعالى وللرسول(ﷺ) ولأهل البيت(عليهم السلام)، وبذلك رسم لنا القرآن طريقنا من بعد الرسول(ﷺ) وهو موالاة أهل البيت (عليهم السلام) ومودّتهم كما أمر الله بقوله: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[1]، ومن هنا جاءت الأحاديث متواترة عن رسول الله(ﷺ) توجب اتباع أهل البيت(عليهم السلام) كقوله: «**إني تارك فيكم ما أن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، إنّ العليم الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**».. فحصر هذا الحديث مسار الأمة من بعد الرسول وهو في اتّباع الكتاب والعترة، فعندما رأى الشيعة هذه النصوص تشيعوا لأهل البيت وتابعوهم فالتشيع يعني أتباع أهل البيت(عليهم السلام)، ولا تتصوري أن الفكر الشيعي وليد ذهنية ابتكرت فكرة الإمامة في ظروف تاريخية معينة وإنما هو امتداد طبيعي لحركة الرسالة الإسلامية، وقد كان الصحابة الذين يوالون الإمام علي أمثال أبي ذر وسلمان والمقداد يسمونهم بشيعة علي(عليه السلام) كما أكد الرسول(ﷺ) هذا المفهوم وجذّر هذا المصطلح في عقلية الأمة الإسلامية بمجموعة أحاديث بشّر بها شيعة علي بالفوز بالجنة وأكدت أنهم هم الفرقة الناجية كقول رسول الله(ﷺ): «**من أراد أن يحيى**

---

(١) - سورة الشورى / الآية: ٢٣.

حياتي ويموت مماتي ويدخل جنة عدن التي وعدني ربي فليوالي علي بين أبي طالب من بعدي ويوالي وليه ويقتدي بأهل بيتي فإنهم خلقوا من طينتي ورزقوا فهمي وعلمي ويل للقاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي» وقول الرسول(ﷺ) **«يا علي أنت وشيعتك على منابر من نور مبيضّة وجوههم حولي في الجنّة يا علي أنت وشيعتك هم الفائزون»** وغيرها من الأحاديث التي رسمت للأمة طريقها، فهذا هو التشيع باختصار وأنا أدعوكِ إلى التأمل في ما قلته لكِ ويكون والحوار بيننا ممتداً.

توقف الزمن أمامي وأنا أستمع إلى هذا الكلام.. ارتسمت على محياي الدهشة.. وبدا عليَّ السّكون.. ولكنه في الواقع هزّ نفسي بعنف وكأنه أقترب بأنامله حول عنقي ليحبس بكلماته أنفاسي، فهل سحب خالي بهذا الكلام البساط من تحت أقدام كل المذاهب.. لكنه بدأ من النقطة التي وقفت عندها في مفترق الطريق، فلعله هو العابر الذي كنت أنتظره ليسلّي وحدتي ويربط على قلبي لكي أقتحم تلك الصفحات التي ختمت بحبر التقديس.

ولكن سرعان ما لملمت أشتات ذهني وحزمت أمر نفسي، قائلة: لا يمكن تجاوز كل ذلك الزخم الفكري في الموروث الإسلامي وما أبدعت فيه عبقريات العقل المسلم بهذه الكلمات، فالأمر موقوف على كثير من البحث والنقاش.

قاطعني قائلاً: أنا لم أطلب منك تحديد موقف بهذا الكلام، كما أنني لا أؤمن بسياسة التلقين وتمرير الأفكار فكل ما ذكرته توضيح عام وما زال البحث والنقاش بيننا

قلت: الأمر بحاجة إلى تركيز أكثر وأنا لا أجد إنّ المكان مناسب في وسط هذه الضجّة وزغاريد الفرحة، فمن المناسب أن ننتظر بعد أن تهدأ الأمور وأجد الفرصة الكافية لاستجماع نفسي لطرح الحوار نقطة بعد نقطة

قال: لا بأس بهذا الاقتراح، فأنا موجود متى طلبتِ مني الحوار.

الفَصْلُ الثَّانِي

الخلافة ..
بين النص والشورى



ودّعتُ خالي بعد تلك الجلسة العابرة، ودخلت مع النساء في معمعة الزواج، بين ضجيج النسوة وصراخ الأطفال ولكنها لم تحجب عن سمعي تلك الكلمات التي سمعتها عن خالي فما زالت تتردّد في أذني، فعزمت على إعداد العدّة فلا يمكن الاستهانة بهذا الكلام كما لا يمكن الاستهانة بمقدرة خالي العلمية فقد أدهشني فعلاً بتلك الكلمات التي كانت تنساب على لسانه من غير جهد وتكلف.

بعد الانتهاء من مراسيم الزواج وفي مساء يوم من الأيام، دعوت خالي لإكمال الحوار وقد سجّلت مجموعة أدلة تنقض ما قاله خالي، فوافق بترحاب، بشرط أن يكون النقاش مع مجموعة لتعم الفائدة.

وفي جو من الهدوء والسكينة وتحت ضوء القمر، اجتمعنا أنا وإخوتي وبنات خالتي، ويبدأ الحوار مع خالي. .

قلت: أولاً وقبل كل شيء تعلم إن كل من لا يؤمن بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان فهو كافر، والشيعة لا يؤمنون بذلك

ويعتبرون أنّ الخليفة من بعد الرسول(ﷺ) هو علي فحسب ، وفي هذا الكلام تجاوز على الخلفاء وكذبٌ وافتراء على الله ورسوله(ﷺ) وطعناً في الصحابة ، وتسقيطاً لمكانة أبي بكر وعمر وعثمان.

خالي : لعلّ الله منّ عليّ بك حتى اهتدي على يديك إن كنتُ ضالاً ، فقد قال رسول الله(ﷺ) : «**وأيم الله لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت الشمس عليه وغربت**».

وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**﴾[1].

فتعالي ، اكشفي لي المستور ، وأنيري دربي للحقيقة ، ولكن أرجو منك يا بنت أختي بأن تنتهجي طريق الحكمة والدليل ، فنحن قوم نميل مع الدليل أينما مال ، قال تعالى : ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[3] ، وقال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب(عليه السلام) : «**رحم الله امرىء سمع حكماً فوعى، ودعي إلى رشاد فدنا وأخذ بحجزة هاد فنجا**».

---

(١) - سورة المائدة / الآية ٣٢.

(٢) - سورة البقرة / الآية ١١١.

(٣) - سورة النحل / الآية: ١٢٥.

وعندها أطرقت رأسي خجلاً، وقلت سامحني يا خالي ولكن الحوار ليست فيه اعتبارات، وأنت صادق في ما قلت وما عليك إلا مواصلة النقاش ولكن عليك ذكر دليل الشيعة على أن الإمام علي قد نصّ عليه من قبل الله تعالى؟

خالي: إذا كنت مدير مدرسة أو شركة وطرأ عليك سفر، فهل تغادرين هذه المدرسة أو تلك الشركة بدون تعيين أي وكيل؟

قلت: طبعاً لا، وليست هذه صفة أي إداري عاقل.

خالي: أذن فهل خرج رسول الله(ﷺ) من هذه الدنيا بدون وضع أي حلٍ لأمّته، فهل كان رسول الله(ﷺ) يجهل بما سيقع من بعده من حروب وفتن واختلافات؟ وهل يعقل أنّ رسول الله(ﷺ) هذه الشخصية العملاقة التي بنت أعظم حضارة في تاريخ الإنسانية يترك هذه الحضارة، من غير تعيين من يرعى شؤونها.

أو ليس من الواجب على الرسول أن يكون حريصاً على العباد، فيختار إليهم من يكون أمامهم في أمور الدين والشريعة؟ أو ليس هو القائل: «**ستفترق أمتي ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة**».

حاشا رسول الله(ﷺ) أن يترك أمته سدىً، وهو العالم بما سيجري بعده، وقد أثبت التاريخ أن رسول الله(ﷺ) كان إذا أراد أن

يخرج من المدينة إلى غزوة كان لا يخرج حتى يجعل خليفة، وقد ذكر البخاري في صحيحه أنّ رسول الله(ﷺ) عندما خرج لغزوة تبوك خلف علي بن أبي طالب على المدينة وقال له: «**يا علي ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيٌ بعدي**»، فيتضح من ذلك أن رسول الله(ﷺ) قد وضع حلاً لأمته.. أليس كذلك؟

قلت: أنا لا أعترض على شي مما قلت، فإن رسول الله(ﷺ) لم يخرج من هذه الدنيا حتى وضع حلاً.. ولكن لا يعني هذا، أن يكون الحل الذي وضعه هو النص على الإمامة.

خالي: إذن ما هو الحل؟

قلت: الحل هو الشورى بين المسلمين.

خالي: أذن خلاصة هذا الكلام أنّ رسول الله(ﷺ) كان يعلم بما سيجري من بعده، وأنه قد وضع حلاً لأمته.. ولكن اختلفنا في نوعية ذلك الحل، فأنتم تقولون أن الحل الذي وضعه الرسول(ﷺ) هو الشورى بين المسلمين.. أما الشيعة، فقد ذهبت إلى أن الحل هو النص والتعيين من قبل الله تعالى ورسوله، وقد أثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك أنّ الرسول عيّن من بعده علي وأهل بيته.

الشورى هي الحل

قلت: أنّ الأدلة على الشورى واضحة في آيات الله تعالى، ولا أدري كيف تغافل عنها الشيعة، فهل هناك نص أوضح من قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ﴾[1] وقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[2].

فأنّ الظاهر من هذه الآيات، هو إعطاء الشرعية للأمة في انتخاب خليفتها، وليست لك حجة مما ينتج من هذا الانتخاب من اختلاف، لانّ من ميزات شريعتنا الغرّاء أنّ الاختلاف مسموح به، بل هو رحمة كما قال رسول الله: «**اختلاف أمتي رحمة**»، هذه من أعظم القيم الإسلامية وهي إقرار مبدأ الديمقراطية.

كما أن الواقع العملي لسيرة المسلمين وخاصة سيرة السلف الصالح قد أجمعوا على هذا المبدأ، وأنّ أول شورى حدثت في التاريخ، أسفرت عن أعظم حضارة بقيادة الخلفاء كانت نتاج مبدأ الشورى، وهذا ما أراده رسول الله(ﷺ)، وهو القائل: «**لا تجتمع أمتي على ضلال**»، وهذا للأمة فماذا يكون الحال إذا كان المجمعون هم الصحابة الذين زكاهم الله (عزّ وجل) ومدحهم

---

(١) - سورة الشورى / الآية: ٣٨.

(٢) - سورة آل عمران / الآية: ١٥٩.

رسول الله(ﷺ)، فلم تكن يا خالي خلافة أبي بكر خارجة عن الدين، بل هي الدين بعينه.

وإذا كنت في شك مما قلتُ لك، تكون قد خالفت أهل البيت الذين تدعون التمسك بهم، لأنّ علي ابن أبي طالب بنفسه بايع أبا بكر ولم يخالفه، وإذا كانت الخلافة له، لما سكت وبايع أبا بكر وكان على الأقل احتجّ عليهم وذكرهم بأن رسول الله(ﷺ) قد نص عليه، ولكن حدث عكس ذلك، فقد أقر علي مبدأ الشورى كما جاء في هذا النص كتبته من كتاب يرجعه إلى نهج البلاغة: «**وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماما كان ذلك لله رضاً، فإن خرج من أمرهم بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منهم فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير المسلمين**» ولعلّ علي كان يدري أناساً يأتون من بعده يدعون أن الإمامة حق له دون غيره ولذلك سطر هذه الكلمات حتى تكون حجة عليهم مدى الدهر.

هذا من جهة علي، أما من جهة الصحابة فالأمر أوضح، لأنهم لم يبايعوا علياً، ولو كان هناك نصاً عليه لم يتخذوا دونه بدلا، ولا يمكن أن يقبل إن كل الصحابة قد تواطئوا على علي، وهم الذين مدحهم الله في كتابه: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً**

سُجَّداً﴾[1] وكما قال رسول الله(ﷺ): «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

فإذا كان الصحابة لم يبايعوا علياً فهذا دليل قوي على أنه لا يوجد أي نص، إذ لو كان هناك ثمة نص لألتزم به الصحابة الكرام.

ثم بالله عليك، إذا كانت الإمامة نصاً ألهياً وهي بهذه الدرجة من الخطورة كما تدعون وتطبلون على ذلك لماذا لم تذكر في القرآن الكريم؟

لماذا لم يذكر أسم علي كما ذكر اسم محمّد(ﷺ)، بل لم يترك حتى إشارة واضحة محكمة في ذلك الخصوص؟

فهذا يدل على أنّ القضية هي قضية شورى بين المسلمين، وليست القضية نص كما تدعي وتذهب.

أبو بكر هو الخليفة الذي نصّ عليه رسول اللّه

.. وإن تنازلنا وسلّمنا للشيعة أنّ الخليفة لابد أن يكون منصوصاً عليه، فحينها تكون الكفة مع أبي بكر الصديق.

خالي متعجباً: ...أبو بكر؟

قلت: أجل، الصديق..

خالي: نورينا، كيف ذلك؟؟

---

(١) - سورة الفتح / الاية: ٢٩.

قلت: عن علي (رضي الله عنه) قال: «دخلنا على رسول الله(ﷺ) فقلنا: يا رسول الله أستخلف علينا قال: إن يعلم الله فيكم خيراً يولّ عليكم خيركم، فقال علي (رضي الله تعالى عنه): فعلم الله فينا خيراً فولى علينا خيرنا أبا بكر رضي الله عنه).. وعن علي بن أبي طالب أيضاً: (أتت امرأة إلى النبي(ﷺ) فأمر أن ترجع إليه فقالت: إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت، قال إن لم تجديني فأتي أبا بكر»..

وعن ابن عمر قال: «**سمعت رسول الله يقول: يكون خلفي أثنا عشر خليفة أبو بكر لا يلبث ألا قليلاً**»..

وعن حذيفة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(ﷺ): اقتدوا بالذي بعدي أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما).

هذا بالإضافة إلى قوله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾**(١) فإن هذه الآية نازلة في حق أبي بكر الصديق فكانت النتيجة طبيعية، أن يعين رسول الله(ﷺ) أبا بكر كما عيّنه إماماً ليصلّي بالمسلمين.

---

(١) - سورة المائدة / الآية: ٥٤.

الاستدلال بآيات الشورى باطل

خالي: انتهيتِ؟

قلت: أجل، وهل بعد هذا الكلام من زيادة، وابتسمتُ قائلةً: قطعت جهيزة قول كل خطيب، ولو كان للشيعة ربع هذه الأدلة لقلنا أنهم تأوّلوا، ولوجدنا لهم عذراً.

خالي: هوني عليكِ يا بنت أختي زادني الله وإياكِ بصيرة في الحق.. وهدانا الله إلى طريق الهدى والصراط المستقيم.

حججك يا عزيزتي قوية ومنطقية ولكن عندي عدة أسئلة وبعض الشبهات حول ذلك فإن أجبت عنها، كان الصواب معك.

قلت: بوجه مستبشر، وبلهفة تفضل.. تفضل.

خالي: ذكرتِ أنّ الحل والمنهجية التي وضعها الرسول(ﷺ) لأمته بعد وفاته هي الشورى بين المسلمين. وإستدليت بالآيتين المباركتين ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[1] ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[2].

قلت: أجل، هو ذلك.

خالي: حسناً من هو المخاطب بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾.

---

(١) - سورة آل عمران / الآية: ١٥٩.

(٢) - سورة الشورى / الآية: ٣٨.

قلت: المخاطب هو الرسول.

إذن فالخطاب في الآية متوجه إلى الحاكم الذي استقرّت حكومته أليس كذلك.

قلت: وبعد ثوان من الصمت، لم أفهم ذلك.

خالي: بما أنّ الرسول كان هو الحاكم الشرعي، وخطاب الآية متوجّه له، فلا يمكن أن تكون الآية مؤسسة لنظرية الحكم وألاّ يكون في الأمر خلف وتحصيل حاصل، لأنّ الرسول هو الحاكم حين ذاك، فكيف تكون الشورى لتنصيب الحاكم والحاكم موجود، فأقصى ما نفهمه من الآية أنّ من وظائف الحاكم الشرعي هو الشورى مع رعيته، هذا ما أكده أمير المؤمنين(عليه السلام): «**من استبدّ برأيه هلك ومن شاور الرجال في أمورها شاركها في عقولها**» هذا أولاً.

وثانياً: أنّ مشورة الحاكم للرعية ليست على وجه الإلزام أي ليس واجباً على الحاكم الأخذ برأيهم، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿**فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ**﴾[1]، فالأمر أولاً وأخيراً منوط بالحاكم. هذه هي الشورى الشرعية التي أمر بها الإسلام، وهي لا تنعقد إلاّ بوجود الحاكم والقيّم على

(١) - سورة آل عمران / الآية: ١٥٩.

الشورى، فأركان الشورى في الإسلام، أولاً: المتشاورون، وهذا من قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ وثانياً: موضوع للشورى، والدليل عليه ﴿فِي الأَمْرِ﴾.

وثالثاً: ولي وقيّم على الشورى، حيث ترجع إليه الآراء وهو الذي يحكم فيها، ﴿فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾، فبهذا لا يمكن أن تنعقد الشورى بكيفيتها الإسلامية إلاّ بحاكم، وأنتم تزعمون أنّ الحاكم لا يأتي ألا عن طريق الشورى وهذا دور والدور باطل كما تعلم، أي بمعنى أخر، أن الحاكم لا يأتي إلاّ بالشورى، والشورى لا تقوم إلا بالحاكم، فإذا حذفنا المتكرر، تكون المحصلة، الحاكم لا يقوم إلا بالحاكم، أو الشورى لا تقوم إلاّ بالشورى وهذا باطل بإجماع العقلاء. فتكون الآية خارجة عن موضوع تعين الحاكم، ولأجل ذلك لم نرى أحداً من السقيفة أحتجّ بهذه الآية.

فالمتمعن في الآية يتضح له أنّ الأمر بالمشاورة كان بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم ومن سبل الترابط الذي يجمع بين القائد وأمته، قال تعالى: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1].

فالكلام فيها بنفس ما تقدم لأنّ الخطاب كان شاملاً للرسول أيضاً فمن الممنوع عقلاً وشرعاً أن يعقد الصحابة مشورة من دون الرسول هو بينهم، فإذا تحتّم دخول الرسول معهم وهو الحاكم المطاع فتخرج الشورى حينها عن موضوع تعين الحاكم كما تقدم في الآية الأولى، فتكون الآية حثت على الشورى فيما يمت إلى شؤون المؤمنين بصلة لا فيما هو خارج عن حوزة أمرهم.

أما كون تعين الأمام داخلاً في أمورهم، فهذا هو أول الكلام وعلى أقل تقدير إذ لا ندرى هل أن أمر الإمام هو من شؤون المؤمنين أم من شؤون الله سبحانه، ومع هذا الترديد لا يصح التمسك بالآية.

فهذه الآيات التي ذكرتيها لا يستفاد منها أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم، كما أن التشاور لا يمكن أن يكون في القضايا التي ورد فيها تحديد شرعي فليس لأحد صلاحية في قبالة تشريعات الله، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَيَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[2] وقال: ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

(١) - سورة الشورى / آية ٣٨.

(٢) - سورة القصص / الآية: ٦٨.

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾[1].

...فالآيتان أجنبيتان تماماً عن موضوع القيادة، وبالتالي دليلكِ هذا ساقط ولا ينهض بأي حال من الأحوال لإثبات المدعى.. أليس كذلك؟!

قلت: هذا الكلام يبدو في ظاهره وجيه، مع أنه يشوبه نوع من الغرابة فلم أسمع من قبل بمثل هذا الاستدلال، ولكن كل ما أفهمه، أنّ اختلاف أمة محمد(ﷺ) رحمة..

اختلاف أمتي رحمة

عذراً يا عزيزتي إنّ الحديث الذي ذكرتيه ليس بهذا الفهم، والوارد في تفسيره عند أهل البيت(ع) كما جاء في كتاب أسمه علل الشرائع أنه قيل للإمام الصادق(ع): أن قوماً يروون أن رسول الله(ﷺ) قال: «**اختلاف أمتي رحمة**»، فقال: صدقوا، فقيل إذا كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب، قال(ع): ليس حيث تذهب وذهبوا، إنما أراد قول الله عز وجل: **﴿فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ**

(١) - سورة الأحزاب / الآية: ٣٦.

يَحْـذَرُونَ﴾[1]. واختلاف أهل البلدان إلى نبيهم ثم من عنده إلى بلادهم رحمة.. فالاختلاف في البلدان لا في الدين لأن الدين واحد، وهذا ما تؤكده كتب اللغة فقد جاء في المنجد: اختلف إلى المكان، تردّد أي جاء المرة بعد الأخرى. وهذا ما يَقبله العقل والشرع قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِه صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[5].

الديمقراطية مبدأ إسلامي وعقلاني

قلت: حسناً يا خالي إذاً أنتم الشيعة الإمامية، لا تعترفون بمبدأ الشورى في الفكر الإسلامي وإذا كان الأمر كذلك، فلما المصلحون والمجددون يقولون: أن بنيان الحكم في الإسلام مبني عل أسس الديمقراطية وحرية الرأي والتعبير، ولم يكن ذلك من فراغ، وإنما استناداً

---

(١) - سورة التوبة / الآية: ١٢٢.
(٢) - سورة آل عمران / الآية: ١٠٣.
(٣) - سورة الأنفال / الآية: ٤٦.
(٤) - سورة الصف / الآية: ٤.
(٥) - سورة الحجرات / الآية ٤.

للطريق الذي شرعه الإسلام لانتخاب الحاكم بالشورى والاختيار الحر، وهذا ما أجمع عليه كل العقلاء مسلمون وغير مسلمين.

خالي: أولاً إنّ الديمقراطية بصورتها الحالية لم تكن هي المبدأ الذي أتفق عليه كل العقلاء.

وثانياً: أنّ الديمقراطية بالفهم الإسلامي هي رقابة مشتركة بين الحاكم والرعية من أجل تطبيق قيم ومبادئ سامية، وليست هي الفوضى التي تنتج من الأتباع المطلق لرغبات الشعب، وإنما هي مساعي مشتركة بين الحاكم والرعية لتطبيق شرع الله.

ثالثاً: إنّ الديمقراطية يمكن أن تقبل في إطار خاص وليس مطلقاً، أي في الأمور التي تعتبر من اختصاصات البشر، لا في الأمور التي هي من شأن الله سبحانه وتعالى، فالحاكمية الحقيقية لله تعالى ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾[1]، والله هو الخالق، والخالقُ مالك، والمالك هو الحاكم، ولا يجوز للمملوك أن يتصرف في حق المالك إلاّ بإذن المالك، وقد جرت سنّة الله سبحانه وتعالى باصطفاء الخلفاء والحكّام الذين يمثلون حكومته في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[3] وقال:

---

(١) - سورة الأنعام / الآية: ٥٧.

(٢) - سورة البقرة / الآية: ٣٠.

(٣) - سورة الأنبياء / الآية ٧٣.

﴿قالَ إِنّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمينَ﴾[1] وهذا غير الآيات التي تحدثت عن اصطفاء الله للخلفاء، فأمر الحكم هو من اختصاص الله (عزّ وجل)، فلا تجري فيه الديمقراطية.

الديمقراطية لا تصلح في المجتمع القبلي

رابعاً: ولو سلّمنا جدلاً أنّ الديمقراطية يمكن أن تكون طريق لاختيار الحاكم، لكنها لا تفيد مع ذلك المجتمع الجاهلي الذي لم يعرف في طول تاريخه معنى الشورى، فإنّ الأنظمة التي كانت سائدة هي الأنظمة القبلية، والتقسيمات العشائرية، التي لا تعترف إلا بقانون القوة.

قلت: لكن النبيّ(ﷺ) سعى سعياً حثيثاً لمحو الروح القبلية وإذابة الفوارق العشائرية، وجمع ذلك الشتات في بوتقة الإيمان الموحد.

خالي: نعم هذا صحيح، ولكن ليس من الممكن أن ينقلب النظام القبلي في مدة ثلاث وعشرين عاماً إلى نظام موحد إسلامي فقد كان لا يرى إلاّ الانتساب إلى القبيلة فخراً له، والأدلة على ذلك كثيرة، فقد نقل البخاري في صحيحه: (تنازع مهاجري مع أنصاري،

---

(١) - سورة البقرة / الآية: ١٢٤.

فصرخ الأنصاري: يا معشر الأنصار، وصرخ المهاجري: يا معشر المهاجرين[1].. ولما سمع النبي(ﷺ) ذلك، قال: «**دعوها فإنها دعوة ميتة**». ولولا قيادته الحكيمة(ﷺ) لَخُضّب وجه الأرض بدماء المسلمين من المهاجرين والأنصار. وكم حدثت أمثال تلك الحوادث، حتى قال فيهم النبي: «**يا معشر المسلمين، أبدعوى الجاهلية، وأنا بينكم**»، وحتى تتأكد مما قلته لك ارجع إلى أي كتاب في التاريخ، لترى الصورة الحقيقية للمجتمع الأول، ولا تفهم من ذلك إني أشكك في مجتمع الرسول(ﷺ)، وكلما أقصده أنّ النظرة المثالية ليست واقعية.

قلت: ليس كلّ ما جاء في كتب التاريخ حقيقة.

خالي: عفواً لا تعتمدي على الكلمات المطلقة، ليس كل ما في التاريخ حقيقة، هذا الكلام عليكِ وليس معكِ، لأنّ السلف الذين تدافعين عنهم أنت لم تعيشي معهم، وكل ما تعرفينه عنهم هو عبر التاريخ، هذا أولاً، وثانياً: أنّ هنالك روايات في الصحاح التي تعترفون بصحتها تكشف أن المجتمع الأول لم يكن مثالياً كما تتخيلين، وإليك هذه الحادثة التي جاءت في صحيح البخاري في قصة الإفك كمثال وليس حصراً. قال النبي(ﷺ) وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي،**

---

(١) - ج٥ ص١١٩، باب غزوة بني المصطلق.

والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي».

قالت عائشة: فقال سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا.

قالت عائشة: فقام رجل من الخزرج وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية، فقال سعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل.

فقال أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد بن معاذ، لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله، لتقتلنّه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

قالت عائشة: فصار الحيان (الأوس والخزرج) حتى هموا أن يقتتلا ورسول الله(ﷺ)، قائم على المنبر، ولم يزل رسول الله يخفضهم (أي يهدئهم) حتى سكتوا.

فعليك أن تتدبر، هذا هو الحال ورسول الله بينهم، فكيف الحال بعد وفاته؟!

واسمحي لي أن أتجاسر قليلاً وأقول لك، أنّ فرض الديمقراطية في مثل هذا المجتمع هرطقة فاضحة.

وذلك لأن العمليات الانتخابية التي يفترض إجراؤها تحت مظلّة الديمقراطية تستلزم وعياً ونظرا للمصالح والمفاسد وتقويماً للطرق السليمة التي تفيد المجتمع في ارتقائه وتكامله، وتجربة في الحياة السياسية. وهذا كله يستدعي أرضية ثقافية وفكرية نشطة لدى أبناء الشعب وفي غير تلك الصورة يكون فرض الديمقراطية ضرباً من اللاواقعية.

قلت: بقدر ما أنك تجد شواهد على بدوية ذلك المجتمع، فإنّ الشواهد على وجود نماذج طيبة كثيرة جداً في التاريخ، وليس من الإنصاف أن تتمسك بالشواهد السلبية دون الإيجابية، فمجرد وجود تلك النماذج الإيجابية كافٍ لصيرورة نظام الشورى.

خالي: أنا لا أنكر تلك النماذج الإيجابية بل أفتخر بها، ولكن ليس هذا مربط الفرس، فأن القضية تدور مدار الشرعية للشورى، والمدعى قائم على نفي الشرعية عنها، إذ لا يعقل أن تكون الشورى هي الطريق الذي حدده الشرع، في حين أنه لا توجد رواية واحدة عن الرسول(ﷺ) يتحدث فيها عن الشورى، وهذا خلاف المفترض، حيث كان من اللازم أن يبيّن الرسول(ﷺ) كيفية الشورى وحدودها وآلياتها، في حين أنّ الأحاديث التي تتحدث عن السواك وفوائده لا تقل عن الخمسة والثلاثين حديثاً.

إجماع الصحابة على خلافة أبي بكر

قلت: في كلامك نسبة كبيرة من الوجاهة، وقد يصل إلى حد الإقناع لولا أنه معارض بإجماع الصحابة الذين أستقر رأيهم على خلافة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وقد أعطى رسول الله هذا الإجماعَ الشرعيةَ بقوله: **«لا تجتمع أمتي على الخطأ»**.

خالي: بغضّ النّظر عن الكلام حول حجيّة الإجماع والنقاش الدائر حوله، فأن إجماع الصحابة على خلافة أبي بكر لا يخلو من إشكال، لأنّ القدر المتيقّن من حجيّة الإجماع، هو الإجماع الغير مخروق أي الإجماع الذي لم يخالفه مخالف، وهذا غير متحقّق.

قلت: إنّ الإجماع ينعقد برؤوس القوم وزعمائهم وهذا متحقق، ولا عبرة بغيرهم.

خالي: إنّ الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر لم يكونوا من صغار القوم كما زعمت، بل هم أعاظم الصحابة، وإليك منهم على سبيل المثال لا الحصر؛ فروة بن عمرو وهو ممّن تخلّف عن بيعة أبي بكر، وكان ممّن جاهد مع رسول الله (ﷺ) وكان يتصدّق من نخله بألف ساق كل عام، وكان سيداً وهو

من أصحاب علي، وممن شهد معه يوم الجمل[1] . . ، وجاء في أسد الغابة: شهد العقبة وبدراً وما بعدهما[2] .

وممّن تخلّف أيضاً خالد بن سعيد الأموي هو ممن أسلم قديماً فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل خامس من أسلم، وقال ابن قتيبة في المعارف: (أسلم قبل إسلام أبي بكر)[3] وسعد بن عبادة، وحذيفة بن اليمان وخزيمة بن ثابت وأبو بريدة الأسلمي وسهل بن حنيف وقيس بن سعد وأبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبدالله، وغيرهم وكل هؤلاء من الصحابة العظماء كما تعلم، هذا بالإضافة إلى أبي ذر وسلمان والزبير وأبيّ بن كعب والمقداد بن الأسود.

بيعة علي لأبي بكر كافية في المقام

قلت: كلامك مقنع وقد تفاجأت فعلاً بهذه الأسماء، ولكنه معارض، بمبايعة علي لأبي بكر وهذا كافي لأنه مدار الخلاف.

خالي: لم تكن مبايعة علي لأبي بكر متفق عليها، فقد تواتر في كتب التاريخ والصحاح والمسانيد تخلف علي ومن معه عن بيعة أبي بكر وتحصنهم بدار فاطمة، ومن ذلك ما رواه البلاذري وقال: بعث

(١) - وقد ذكر ذلك الزبير بن بكار في الموفقيات ص٥٩٠.

(٢) - أسد الغابة ج٤ص١٧٨.

(٣) - ص١٢٨.

أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي حين قعد عن بيعته وقال: ائتني به بأعنف العنف، فلما أتاه جرى بينهم كلام، فقال علي لعمر: أحلب حلباً لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم ألا ليؤثرك غداً.

لذلك قال أبو بكر في مرض موته: أما أني لا أسي على شيء من الدنيا، ألا على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن إلى قوله.. فأما الثالث التي فعلتها فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وأن كانوا قد أغلقوه على حرب.

وقد ذكر المؤرخون ممن دخل في دار فاطمة:

١- عمر بن الخطاب

٢- خالد بن الوليد

٣- عبد الرحمن بن عوف

٤- ثابت بن قيس

٥- زياد بن لبيد

٦- محمد بن مسلمة

٧- زيد بن ثابت

٨- سلمة بن أسلم

٩- أسيد بن حضير

وقد ذكروا في كيفية كشف بيت فاطمة أنه: «غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم علي بن أبي طالب والزبير، فدخلا بيت فاطمة ومعهما السلاح».

وذكر المؤرخون أيضاً قد بلغ أبا بكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله(ﷺ)، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليا. فبعث إليهم أبو بكر عمر ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟!

قال عمر: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة.

وفي أنساب الأشراف، فتلقّته فاطمة على الباب فقالت: يا ابن الخطاب أتراك محرقاً عليَّ بابي؟!

قال عمر: نعم.

وعلى ذلك أنشد حافظ إبراهيم شاعر النيل قائلاً:

وقولة لعلي قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بُملقيها

حرقتُ دارك لا أبقي عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفُوه بها ... أمام فارس عدنان وحاميها

قلت: وأنا مندهشة لم أسمع بهذا من قبل، فهل يمكن أن تنقلب الأمة حتى على بنت رسول الله(ﷺ)، ولكن يا خالي إذا تجاوزت هذه الحادثة مع أنه مما لا يمكن تجاوزه، وإنما لفتح الباب أمام الحوار وسلمتُ بما حدث، فإنه لا يتجاوز أن يكون موقفاً مخالفاً لموقف الصحابة الذين اجتمعوا في السقيفة وارتأوا الشورى حلاً، وهذا ليس كافٍ لسلب صحة الشورى، وأهل السنة على هذا الرأي.

أحداث السقيفة

خالي: أن الكلام كان عن الإجماع وما ذكرته لك كافٍ لإبطاله، هذا أولاً، وثانياً إنّ الشورى بما هي شورى ليست حجةً وغير ملزمة، كما اثبتنا ذلك في أول الكلام، وثالثاً: أن الشورى لم تكن موجودة على المستوى العملي، فإنّ مجريات الأحداث لا توحي بوجود شورى. وإليك ما جاء في السقيفة من رواية عمر بن الخطاب قال: إنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله(ﷺ)، أنّ الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما، فقلتُ لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار. فانطلقنا حتى أتيناهم، فإذا رجل مزّمل فقالوا هذا سعد بن عبادة يوعك. . فلما جلسنا قليلاً تشهّد خطيبهم فأثني على الله ثم قال: أما بعد،

فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط . . فأراد عمر أن يتكلم عند ما سمع خطيب سعد بن عبادة لكن أبو بكر منعه، فتكلم هو، يقول عمر: والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل، حيث قال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يصرف عنكم هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أي عمر وأبوعبيدة، فبايعوا إيهما شئتم.

وأخذ أبو بكر بيد عمر وبيد أبو عُبيدة.

فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعُذيقها المرجب . . منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . .

فكثر اللغط وارتفعت الأصوات.

فخاف عمر من الاختلاف، فقال لأبي بكر: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار . . وهذا مختصر ما جرى في السقيفة[1].

---

(١) - وللتفصيل ارجعي إلى كتب التاريخ مثل الطبري في ذكره حوادث بعد الرسول، وابن الأثير ج٢ص١٢٥ وتاريخ الخلفاء لابن قتيبه ج١ص٥ وسيرة ابن هشام ج٤ص٣٣٦ وغيرها مثل الطبقات وكنز العمال والعقد الفريد وتاريخ الذهبي واليعقوبي والموفقيات للزبير بن بكار وكتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري وشرح نهج البلاغة.

علي مع الحق والحق مع علي

والأمر الأهم من ذلك، أنّ علياً(عليه السلام) لم يكن طرفاً في قبالة أهل الشورى كما زعمتِ، لأنّ علياً(عليه السلام) ركن الحق والحقيقة والحق يدور معه حيثما دار.

قلت: ولماذا؟.. الحق يدور مع علي حيثما دار، هذا الكلام في غاية التهافت، ولا يمكن أن يقبله جاهل فضلاً عن عالم، كيف يدور الحق مدار إنسان، فإذا قُبل هذا الكلام يمكن أن يقبل للرسل الذين عصمهم الله، أما في غيرهم فمخالف للشرع، كما قال رسول الله **«كل أبن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابين»** وهذا من المسلّمات العقلية قبل الشرعيّة، فإن العقلاء يجوزون الخطأ حتى على الرجال الذين بلغوا مستوى من الكمال البشري.

خالي: أولاً: يا عزيزتي إنّ هذا الكلام ليس متهافت كما تفضّلت، لأن العقل لا يمانع أن يكون الحق يدور مدار إنسان، بل حتى الإمكان العلمي والعملي لا يخالف ذلك، أما على المستوى العقلي، فإن العقل لا يحكم باستحالة شيء إلا إذا رجع لمبدأ التناقض وهذه منتفية بالضرورة، وأما على المستوى العلمي فالعلم يقول أنّ في الإنسان قوة عقلية تدلّه للصواب وغرائز

وشهوات تجره للخطأ، فإذا غلّب الإنسان قوته العقلية لا يمكن أن يرتكب الخطأ، وأما من الناحية العملية يكفيك الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم أجمعين)، فليس في الأمر تهافت.

وثانياً: أنّ هذا الكلام لا يخالف الشرع كما تفضلت، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[1] فإنّ الله يحاسب الإنسان على مثقال ذرة (وهي أصغر ما يمكن أن يعبر بها) من الشر، فإذا كان الإنسان ليس قادراً على أن لا يرتكب مثقال ذرة فلماذا يحاسبه الله، قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[2] فمعنى ذلك أن عدم ارتكاب الذرة من الخطأ هي من سعة الإنسان واستطاعته، وهذا دليل على أن كل إنسان يمكن أن يكون معصوماً، وإذا سلمت بذلك كما هو واضح، فهل يا ترى لم يتحقق ذلك أبداً في طول التاريخ الإسلامي؟ وهو بالتأكيد تحقق لأن الله لم يضع هذا الأمر عبثاً، وإنما واقعاً، لان هذه الآية ليست مثالية وإنما لها نماذج واقعية تكون حجة على البشر، فهل يا ترى هنالك نموذجاً يكون مصداقاً لهذه الآية غير علي بن أبي طالب(عليه السلام) الذي أتفق على فضله جميع المسلمين.

---

(١) - سورة الزلزلة / الآية: ٨.

(٢) - سورة البقرة / الآية: ٢٨٦.

وثالثاً: قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] جاء في تفسير الرازي لهذه الآية، أنّ الله أوجب طاعة أولي الأمر على سبيل الجزم وكل من يأمر الله بطاعته على سبيل الجزم لابد أن يكون معصوماً، وألا يجتمع الأمر والنهي في موضع واحد وهذا محال؛ وبتقرير آخر، أنّ الله أمر بالطاعة المطلقة لأولي الأمر من غير تخصيص، فإذا كان يتصور منهم الخطأ، فأننا بطريقة غير مباشرة نرتكب الخطأ، فنكون أمرنا بارتكاب الخطأ، وقد نهانا الله عنه، فيكون بذلك أجتمع الأمر والنهي في موضع واحد وهذا محال، فإذاً لابد أن يكون أولو الأمر معصومين، فيا ترى من هم المعصومون الذين أمرنا الله بطاعتهم؟

قلت لكي أقطع عليه الطريق: . . . الرسول طبعاً.

خالي (مبتسماً): مهلاً يا بنت أختي لا تتعجلي. .

قلت: نعم، نعم أنا أسفة. . واصل كلامك.

خالي: والإجابة على ذلك هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2] إنّ في هذه الآية تأكيد من الله (عزّ وجل) على تطهير أهل البيت(عليهم السلام) من الرجس، وهو كل ذنب صغيراً كان أم كبيراً، وهذه هي العصمة

---

(١) - سورة النساء / الآية: ٥٩.

(٢) - سورة الأحزاب / الآية: ٣٣.

بعينها، فيكون معنى الآية (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأهل البيت)، وقد ذكرت لك ذلك من قبل ولكن لتأكيد الفائدة وتعميمها.

رابعاً: قال: قال رسول الله(ﷺ): «**علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**»[1]، وقال(ﷺ) مشيراً إلى علي(ع): الحق مع ذا، الحق مع ذا.. وقد روى الترمذي في فضائل علي(ع) والحاكم أيضاً في فضائله من المستدرك ونُقل هذا الحديث أيضاً في الصواعق في الفصل الخامس في الباب الأول، وعن الذهبي أنه صحّح طرقاً كثيرة لدعاء النبي(ﷺ) لعلي في غدير خم المشتمل على قوله: «**وأدر الحق معه حيث دار**» وحكى ابن أبي الحديد قوله: لو نازع علي عقيب وفاة الرسول وسلّ سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه، كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه... إلى أن قال: وحكمه حكم رسول الله(ﷺ) لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصحيحة أنه قال(ﷺ): «**علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار**»[2]، وجاء في كنز العمال: «**الحق مع ذا، الحق مع ذا**»[3]، وروى أيضاً يا عمار إن رأيت علياً قد سلك وادياً

---

(١) - اخرج الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج٧ص٢٣٥، وروى أبو يعلي ورجاله ثقاة، كما في كنوز الحقائق ص٧٠، وأرجع المطالب ص٥٩٨، وكتاب مناقب علي بن أبي طالب للفقيه الحافظ أبي الحسن الواسطي الشافعي ص٢٤٤

(٢) - شرح النهج ج١ ص ٢١٢

(٣) - كنز العمال ج ٦ص ١٥٧ ج ٦ ص١٥٥

وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي ودع الناس فأنه لن يدلك على ردى ولن يخرجك من هدي.

الشورى في الواقع العملي

هذا من جهة ومن جهة أخرى، أننا إذا تنازلنا عن كل ما قلناه في علي (عليه السلام)، ونظرنا إلى الشورى والإجماع الذي تحتجين به، فهنالك عدة إشكاليات على أهل السقيفة، وهي تتمثل في الريبة التي تلف زمان السقيفة ومكانها، حيث السقيفة لم تكن هي المكان الذي يصلح لانعقاد مثل هذا الأمر الهام جداً وكان من الممكن أن ينعقد في مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وثانياً، الزمان الذي انعقدت فيه الشورى فإنه لا يخلو من خبث واضح، فإن الرسول(صلى الله عليه وآله) مازال مسجّى لم يُدفن بعد، فأيّ مسلم له غيرة على الإسلام يقبل ذلك.

والإشكال الآخر، إذا سلّمنا أنّ للإجماع حجّة، فإن هذا الإجماع لم ينعقد، لعدم حضور كل الصحابة وعلى الأقل أهل المدينة، وكان فيهم كبار الصحابة، ثم إن الطريقة التي جرت بها الشورى خالية حتى من أبسط الأخلاقيات، لشدة المهاترات التي جرت بينهم، كقول عمر لسعد عندما اجتمع الناس لمبايعة أبي بكر، وكادوا يطئون سعد بن عبادة، فقال أناس من أصحاب سعد: اتقوا سعداً لا تطئوه، فقال عمر: (اقتلوه قتله الله إنه صاحب فتنة)، ثم

قام على رأس سعد وقال له: لقد هممت أن أطاك حتى تندر عضوك، فأقبل عليه قيس بن سعد وأخذَ بلحية عمر قائلاً: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة، ثم تكلم سعد بن عبادة منادياً وخاطب عمر: أما والله لو أنّ بي قوة ما، أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يُوجحرك وأصحابك، أما والله لألحقنّك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع)[1].

فبالله عليكِ، لأي شي استحق سعد القتل، ولم يكن يدعو إلاّ إلى نفسه كما دعا غيره؟

ولماذا كان صاحب فتنة؟ وقد دعا للشورى التي أمر بها الإسلام كما تدّعون.

عدالة الصحابة

قلت: للأنصاف يا خالي قد أدهشني هذا الكلام، ولكنني لا يمكن أن أصدّق ذلك على الصحابة، وكأني أراك متحاملاً عليهم، وإلا ما حفظتَ كل هذه الشواهد في مثالبهم، ومما يجعلني أشكّك في كلامك أنّ مثل هذه الأفعال كيف تصدر من الصحابة الذين ربّاهم الرسول الأكرم(ﷺ).

---

(١) - ذكرها الطبري ج٣ص٤٥٥

خالي: لا يا عزيزتي، لم يكن في الأمر تحامل، وما أنا إلاّ دارس للتاريخ، وقد سجّل لنا التاريخ أنّ الصّحابة فعلوا ما فعلوا.

ثم من قال أنّ مجرد الصحبة عاصمة من الخطأ؟ فالصحابة هم مجتمع بشري يحمل الصالح والطالح، وكون هنالك رسول اتفق وجوده مع وجودهم هذا ليس كافٍ أن ينقل كل ذلك المجتمع من قمة الجاهلية إلى قمة العدالة، وكم هنالك مجتمعات عاش بينها عشرات الأنبياء لم يمنعهم ذلك من عذاب الله، فبنوا إسرائيل كانوا يقتلون في اليوم والليلة سبعين نبياً، قال تعالى: ﴿**كُلّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ**﴾[1].

أما لماذا فعلوا، فهذا بحث آخر.

قلت: ما هي نظرتكم إلى الصحابة بكل أمانة؟

خالي: ننظر إليهم كما نظر إليهم القرآن والأحاديث الشريفة.

قلت: وكذلك أهل السنّة يقولون، أنّ القرآن نزههم من كل سوء وبايعوه على الموت وصاحبوه بصدق في القول والعمل، وهي أحد الأصول التي ندين بها.

خالي: هذه نظرتهم لا نظرة القرآن، لأنّ القرآن قسّم الصحابة إلى ثلاثة أقسام..

---

(١) - سورة المائدة / الآية: ٧٠.

الأول: الصحابة الأخيار الذين عرفوا الله ورسوله حق المعرفة، ولم ينقلبوا بعده، بل ثبتوا على العهد، وقد مدحهم الله جلّ جلاله في كتابه العزيز، وقد أثنى عليهم رسول الله(ﷺ) في العديد من المواقع، ونحن الشيعة نذكرهم باحترام وتقديس ونترضى عليهم.

القسم الثاني: هم الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام وأتبعوا رسول الله(ﷺ) إما رغبة أو رهبة، وهؤلاء كانوا يمنون إسلامهم على رسول الله(ﷺ) وكانوا يؤذونه في بعض الأوقات ولا يمتثلون لأوامره ونواهيه بل يجعلون لآرائهم مجالاً في مقابل الرسول، حتى نزل القرآن بتوبيخهم مرة وتهديدهم أخرى، وقد فضحهم الله في عديد من الآيات وحذرهم رسول الله(ﷺ) في عديد من الأحاديث النبوية ونحن الشيعة لا نذكر هؤلاء إلا بأفعالهم.

القسم الثالث: فهم المنافقون الذين صحبوا رسول الله(ﷺ) نفاقاً، وقد أنزل الله فيهم سورة كاملة وذكرهم في العديد من المواقع وتوعدهم بالدرك الأسفل من النار، وهؤلاء يتفق الشيعة والسنة على لعنهم والبراءة منهم.

قلت: من أين أتيت بهذا التقسيم، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا

﴿فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[1] ، فهذه الآية تفيد الإطلاق على كل من تبع الرسول(ﷺ) وتصفهم بالإيمان وإنزال السكينة ، ماعدا المنافقين فهم خارجين تخصصاً .

خالي : أولاً إنّ (المؤمنين) هنا ليست لفظ قصد منه الإطلاق أي مطلق المؤمنين ، وإنما صفة مخصّصة ومقيد لكل من تبع الرسول(ﷺ) إي ليس كل من تبع الرسول(ﷺ) وإنما المؤمنون منهم .

ثانياً : لو رجعت إلى الآية الأخرى التي تحدثت عن بيعة الشجرة في نفس السورة وبالتحديد الآية رقم ١٠ ، تجدين أنّ الله لم يجعل رضاه مطلقاً وإنما جعله مرهون ومشروط بعدم النكث ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[2] والآية أوضح من أي تفسير ، فهذه الآية تبين أنّ هناك قسمان من الصحابة .

قسم نكث ولم ينل رضا الله .

وقسم أوفى بما عاهد الله فنال رضاه .

---

(١) - سورة الفتح / الآية : ١٨.

(٢) - سورة الفتح / الآية : ١٠.

قلت: تحليلك للأمور رائع ولكن ماذا تقول في قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1] فما رأيك في هذه الآية الصريحة في عدالة الصحابة، وقد فسّر بعضهم قوله ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ يعجب المؤمنين ويغيظ الشيعة، لأنهم يعادون الصحابة.

خالي (وهو مبتسماً): أولاً كون بعض من أرتأى وقالوا ما قالوا فأنّ هذا ليس ملزماً لنا، كما أنه افتراء على الله ورسوله لأنه لا يتعدى كونه تفسيراً بالرأي.

وثانياً: أنا أسألك، ما معنى المعية هنا؟ هل هي معية الزمان؟ أم معية المكان؟ أم معية من نوع آخر؟

إن كان المقصود بهذه المعية هو معية الزمان والمكان، فأبو جهل وسجاح والأسود العنسي، والمنافقين كانوا معه وكذلك المشركون،

---

(١) - سورة الفتح / الآية: ٢٩.

من الواضح أن لا يكون المقصود ذلك، وإنما معية من نوع آخر، وهي من كان معه على المنهج ومؤيداً وثابتاً على ما عاهد الله عليه، والدليل على ذلك ذيل الآية ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾[1] فمنهم، تفيد التبعيض، وهذا هو عين الصواب، وإلا دخل في المعيّة أولئك المنافقون الذين مردوا على النفاق كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[2]، كما أن الحديث عن المنافقين يفتح أمامنا سؤالاً عريضاً، كيف انقطع النفاق بمجرد انقطاع الوحي؟ فهل كانت حياة النبي (ﷺ) سبباً في نفاق المنافقين؟ أو موته (ﷺ) سبباً في إيمانهم وعدالتهم؟ كل هذه الأسئلة يدعو إليها الواقع التاريخي الذي لم يذكر لنا شيء عنهم بعد وفاة رسول الله (ﷺ) مع أنهم كانوا يشكلون خطراً على الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[3] ولم يثبت لنا التاريخ أنّ رسول الله (ﷺ) قاتل المنافقين، فهل يا ترى من الذي قاتل المنافقين، غير علي (عليه السلام) وخاصة أن الكتاب والسنّة أثبت بقاء المنافقين على نفاقهم، بل هم الأكثرية الذين شكلوا تيار

---

(١) - سورة الفتح / الآية : ٢٩.

(٢) - سورة التوبة / الآية : ١١٠.

(٣) - سورة التحريم / الآية : ٩.

الانقلاب بعد وفاة رسول الله(ﷺ) قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1] ولا يخفى عليك أن قوله: ﴿الشَّاكِرِينَ﴾ دلالة على الأقلية، لقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[2] وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[3].

قلت: قد زدتني حيرة على حيرتي، كيف يكون كل هذا في الصحابة، فكيف تفسّر تلك الحروب التي قدم فيها الصحابة أرواحهم، وضربوا لنا أروع الأمثال في التضحية، فيمكن أن ينافق الإنسان في كل شيء إلا في هلاك نفسه.

خالي: لا تحتاري، فإنَّ مجتمع الرسول كان مجتمعاً بشرياً فيه الصالح والطالح، ولا يمكن أن يكون مجرد وجود الرسول بينهم كاف لعصمة مجتمع بأكمله، والآيات القرآنية حاكمة بذلك كما تقدم، وغيرها كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً﴾[4] والعطف في الآية دال على أنّ الذين في قلوبهم مرض غير

---

(١) - سورة آل عمران / الآية: ١٤٤.
(٢) - سورة المؤمنون / الآية: ٧٠.
(٣) - سورة سبأ / الآية: ١٣.
(٤) - سورة الأحزاب / الآية: ١٢.

المنافقين، وقال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا..﴾[1]، ومن المعلوم أنّ الفاسق المقصود كان من الصحابة، أما قولك كيف ضحّوا بأنفسهم، فإن مثل هذا السؤال لا تتوقف الإجابة عليه على كونهم مؤمنين، والتاريخ والواقع خير شاهد على ما قلت، فكم من حروب دارت وكم من جماعات ضحّوا، فهل نحكم على الجميع بالإيمان، فهناك المكره وهناك من فرض عليه الواقع أمراً محكوماً، والحروب التي كانت قبل الإسلام خير دليل، ومع ذلك أنا لا أرمي الذين حاربوا مع رسول الله بأنهم كانوا مجبرين، مع أنه كان هناك المجبور والمنافق كشهيد الحمار، إنما أقول حتى المؤمن حقاً لا تعني حربه مع رسول الله عاصمة له من الانحراف بعد وفاة رسول الله (ﷺ) فإنّ مجموعة كبيرة من الصحابة كانت تحارب مع رسول الله وهم يستلهمون الطاقة والحماس منه وبمعنى آخر كانوا يعملون بالطاقة التي كانوا يكسبونها من رسول الله (ﷺ)، واضرب لك مثال على ذلك عندما يستمع الإنسان لخطيب بارع يتحدث عن الجهاد والتضحية فسوف تنتاب المستمعين حالة روحية عالية بحيث لو طلب من كل واحد منهم أن يضحي بنفسه فإنه لا يمانع، ولكن مجرد أن

---

(١) - سورة الحجرات / الآية: ٦.

يغادر المكان ويبتعد عن الخطيب، تضعف تلك الطاقة، هذا بخلاف الذي يكون له وعي كامل بالقضية فإنه يولد تلك الطاقة من نفسه، وكثير من الثورات الإصلاحية تحول الداعون لها إلى مفسدين بعد أن فقدوا قائدهم الروحي، وهذا أمر طبيعي ينتاب كل البشر، ولك في الثورة المهدية في السودان خير مثال فبموت محمد أحمد المهدي انشقت صفوف الأنصار ووقع الخلاف بينهم، وهكذا الصحابة بشر فإنهم معرضون لذلك، قال تعالى: ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[1]، وقال رسول الله (ﷺ) كما جاء في البخاري وصحيح مسلم: «**بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال، هلم، فقلت إلى أين؟ فقال: إلى النار والله، قلت ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أرى يخلص منهم إلا كهمل النعم**» وقال «**إني فرطكم على الحوض من مرّ عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: أصحابي، فيقال: أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي**»[2].

---

(١) - سورة آل عمران / الآية: ١٤٤.

(٢) - البخاري ج٤ص٩٤وج٣ص٣٢ وصحيح مسلم ج٧ص٦٦.

بيعة علي لأبي بكر

طأطأت رأسي غارقة في تفكير عميق ومرددة . .

عجيب عجيب عجيب . !!

خالي : مما تعجبكِ؟

قلت : وفق ما ذكرت من هذه الأدلة القاطعة ، وخاصة في مورد الإمامة ، فلماذا لم يعترض علي كرم الله وجهه على القوم بل أكد على موقف الشورى حيث قال في النص الذي سجلته لك «وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماما كان ذلك لله رضى فإن خرج من أمرهم بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منهم فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير المسلمين» .

خالي : كما أثبت لك أن الشورى باطلة ، وأن النص والتعيين هو المتحقق ، وهذا هو مبحثنا ، أما أن علي لماذا سكت فهذا بحث آخر .

قلت (مقاطعة) : هذا الكلام لا أقبله منك ، أليست الخلافة حق لعلي ، فسكوت الإمام علي هو سكوت عن حقه .

خالي : أجمعت الأمة على أنّ علياً(عليه السلام) وسائر بني هاشم لم يشهدوا البيعة ، ولا دخلوا السقيفة يومئذ ، كانوا منشغلين بتجهيز رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، حتى أكمل أهل السقيفة أمرهم ، وعقدوا البيعة

لأبي بكر، فأين كان الإمام(عليه السلام) عن السقيفة وعن بيعة أبي بكر ليحتجّ عليهم؟.

وقد أجاب الإمام علي(عليه السلام) عن هذا الإشكال عندما سأله الأشعث بن قيس، عندما قال للإمام علي(عليه السلام): ما منعك يا ابن أبي طالب حين بويع أخو بني تميم وأخو بني عدي وأخو بني أمية، أن تقاتل وتضرب بسيفك وأنت لم تخطبنا مذ قدمت العراق إلا قلت قبل أن تنزل عن المنبر والله إني لأوّل الناس ومازلت مظلوماً مذ قبض رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقال (عليه السلام): يا ابن قيس لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهية لقاء ربي ولكن منعني من ذلك أمر النبي(صلى الله عليه وآله) وعَهده إليّ. أخبَرني بما الأمّة صانعة بعده، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**يا علي ستغدر بك الأمة من بعدي**».

فقلت يا رسول الله فما تعهد إليّ إذا كان كذلك؟

فقال الرسول: «**إن وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك واحقن دمك حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعواناً**»[1].

وفي رواية الخطيب البغدادي، عن أبي عثمان النهدي عن علي(عليه السلام) قال: أخذ علي يحدثنا إلى أن قال: «**جذبني رسول**

---

(١) - شرح الذهبي في البلاغة للتستري ج٤ ص٥١٩ وشرح الخطبة الشقشقية في شرح النهج.

الله(ﷺ) وبكى، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور قوم لن يبدوها لك ألا بعدي... فقلت: بسلامة من ديني.؟ قال: نعم بسلامة من دينك»[1].

كما سئل هذا السؤال الإمام الرضا(عليه السلام) وهو الإمام الثامن من أهل البيت، فأجاب: لأنه -أي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)- اقتدى برسول الله(ﷺ) في تركه جهاد المشركين بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة تسعة عشر شهر.

وجاء في كتاب معاوية إلى علي(عليه السلام) واعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يد ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر فلم تدع من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيتَ إليهم بإمرأتك وأدليت إليهم بابنيك، فلم يجبك منهم ألا أربعة أو خمسة... مهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لمّا حرّكك وهيّجك، لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم»[2].

فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) ترك جهاد القوم، لقلّة ناصريه فصبر وفي العين قذى وفي الحلق شجى يرى تراثه ينهب، ويعلل ذلك بأنه لم يسكت ألا تأسياً بالأنبياء حيث قال:

---

(١) - تاريخ بغداد ج١٣ ص٣٩٨.

(٢) - رواه نصر بن مزاحم في تاريخ صفين، وشرح النهج ج٣ص٣٢٧.

إنّ لي بسبعة من الأنبياء أسوة :

الأول : نوح(عليه السلام) قال الله تعالى مخبراً عنه في سورة القمر ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[1] فإن قلت لم يكن مغلوباً فقد كذبت القرآن وإن قلت كان مغلوباً فعلي أعذر.

الثاني : إبراهيم الخليل(عليه السلام) حيث حكى الله تعالى عنه قوله : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[2] فإن قلت اعتزلهم من غير مكروه فقد كفرت وأن قلت رأى المكروه فاعتزلهم فعلي أعذر.

الثالث : نبي الله لوط(عليه السلام) إذ قال لقومه على ما حكاه الله تعالى : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[3] فإن قلت كان له بهم قوة فقد كذّبت القرآن وإن قلت إنه ما كان له بهم قوة فعلي أعذر.

الرابع : نبي الله يوسف(عليه السلام) فقد حكى الله تعالى عنه : ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[4] فإن قلت إنه دعي إلى غير مكروه يسخط الله تعالى فقد كفرت وإن قلت إنه دعي إلى ما يسخط الله فاختار السجن فعلي أعذر.

---

(١) – سورة القمر / الآية ١٠.

(٢) – سورة مريم / الآية : ٤٨.

(٣) – سورة هود / الآية : ٨٠.

(٤) – سورة يوسف / الآية : ٣٣.

الخامس: كليم الله موسى بن عمران(عليه السلام) إذ يقول على ما ذكره الله تعالى عنه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1] فإن قلت أنه فر منهم من غير خوف فقد كذبت القرآن وإن قلت فرّ منهم خوفاً فعلي أعذر.

السادس: نبي الله هارون بن عمران(عليه السلام) إذ يقول على ما حكاه الله تعالى عنه: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[2] فإن قلت إنهم ماستضعفوه فقد كذبت القرآن وإن قلت إنهم استضعفوه وأشرفوا على قتله فعلي أعذر.

السابع: محمد رسول الله(صلى الله عليه وآله) حيث هرب إلى الغار فإن قلت: إنه(صلى الله عليه وآله) هرب من غير خوف فقد كفرت وإن قلت أخافوه وطلبوا دمه وحاولوا قتله فلم يسعه غير الهرب فعلي أعذر.

إمامة علي على نحو الاختيار وليس الجبر

أنّ الأحكام الشرعية يا عزيزتي، معلقة على حرية المكلف واختياره، فإنّ الله لا يجبر عباده على طاعته، فكون علي(عليه السلام) إمام من قبل الله تعالى لا يعني أن تجبر الخلائق على اتباعه، ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3] وهذا ما

(١) – سورة الشعراء / الآية: ٢١.

(٢) – سورة الأعراف / الآية: ١٥٠.

(٣) – سورة الكهف / الآية: ٢٩.

جرى على الأنبياء جميعهم، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[1] فالبيعة لعلي لا يفرضها الله على عباده كما لم يفرض بيعة الرسول، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[2] والمجيء دالٌّ على أنّ الأمر بالبيعة معلق على مجيء المؤمنات طائعات.

لذلك قال رسول الله(ﷺ) في حق علي(ع) كما أخرجه الطبري في الرياض النضرة: «**يا علي إني أعلم ضغائن في صدور قوم سوف يخرجونها لك من بعدي، أنت كالبيت تؤتى ولا تأتي إن جاءوك وبايعوك فاقبل منهم وإلا فأصبر حتى تلقاني مظلوماً**» فإذا كان هنالك قصور فهو من الذين لم يبايعونه هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن في الأمر تزاحم مصالح، فولاية علي(ع) مصلحة والحفاظ علي بيضة الإسلام مصلحة أخرى[3] فقدم علي مصلحة الحفاظ على بيضة الإسلام على مصلحة إمامته، كما فعل نبي الله هارون عندما عبد قومه العجل فلم يمنعهم حفاظاً على وحدة

---

(١) – سورة البقرة / الآية: ٨٧.

(٢) – سورة الممتحنة / الآية: ١٢.

(٣) – أن الدولة الإسلامية كانت مهددة من المنافقين من جهة ودولة فارس والروم من جهة أخرى، وهذا بالإضافة لما أخبر به القرآن الكريم من حوادث تقع بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) كآية الانقلاب.

بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾[1].

قلت: إذاً بماذا تفسّر كلمة الإمام (كرم الله وجهه) التي جاءت في نهج البلاغة: «**وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار فأن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى**»..

خالي: باختصار شديد أجيبك قائلاً: إن ابن أبي الحديد المعتزلي هو أول من احتجّ بهذه الكلمة على أن صيغة الحكومة بعد وفاة النبي(ﷺ) مستندة إلى الاختيار ونظام الشورى وتبعه من تبعه، ولكنه غفل-أو بالأصح تغافل- عن صدر الكلمة التي تعرب عن أن الاستدلال بالشورى من باب الجدل، خضوعاً لقوله تعالى: ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] فإن الإمام علي(عليه السلام) بدأ كلمته -مخاطباً معاوية بن أبي سفيان- بقوله: «**أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد** ...إلى قوله: **وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتُهما على ذلك حتى جاء الحق،**

(١) – سورة طه / الآية: ٩٤.

(٢) – سورة النحل / الآية: ١٢٥.

ظهر أمر الله وهم كارهون..فادخل فيما دخل فيه المسلمون» فقد أبتدأ أمير المؤمنين(عليه السلام) بخلافة الشيخين وذلك يعرب على أنه في مقام إسكات معاوية -الذي خرج على إمام زمانه- وقد تم عليه السلام كلمته بقوله: «فإن اجتمعوا على رجل».. احتجاجاً بمعتقد معاوية، بمعنى: (ألزموهم ما ألزموا به أنفسهم).

وهذه هي الخطبة الشقشقية في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين(عليه السلام): «أما والله لقد تقمصها[1] ابن أبي قحافة وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى ينحدر عني السّيل ولا يرقى إليّ الطّير[2]. فسدلت[3] دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً[4] وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذّاء[5] أو أصبر على طخية عمياء[6] يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى

---

(١) - الضمير عائد على الخلافة، فهنا شبه الإمام علي (عليه السلام) خلافة ابي بكر كالذي لبس قميص ليس قميصه.

(٢) - تمثيل لسمو قدره (عليه السلام) وقربه من مهبط الوحي وان ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله.

(٣) - كناية عن غض نظره عن الخلافة، وسدل الثوب: ارخاه.

(٤) - مال عن الخلافة وهو مثل لمن جاع، فمن جاع طوى كشحه ومن شبع فقد ملأه فهو (عليه السلام) قد جاع عن الخلافة اي لم يلتقمها.

(٥) - الجذّاء: المقطوعة، ومراده (عليه السلام) هنا قلة الناصر والمعين.

(٦) - الطخية: الظلمة، ونسبة العمى إليها مجاز عقلي، وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.

ربه. فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قـــذى، وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً[1]، حتى مضـــى الأول لســبيله فأدلى بها إلى أبن الخطاب بعده (ثم تمثّل بقول الأعشى):

شتّان ما يومي على كورها ويـوم حيّـان أخـي جابــر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته[2] إذ عقدهـــا لآخــر بعــد وفاته لشدّ ما تشطّرا ضرعيها[3] فصيّرها في حــوزةٍ خشــناء يغلــظ كلمُها ويخشُن مسُّها.. إلى أن يقول(عليه السلام): فصــبرت علــى طــول المدّة وشدّة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعــة زعــم أنّــي أحدهم فــيالله وللشورى متــى اعــترض الرّيــب فيّ مــع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكــني أســففت إذ أســفّوا وطرت إذ طاروا، فصغى رجل منهــم لضغنــه[4] ومــال الآخــر لصهره[5] مع هنٍ وهنٍ[6] إلى أن قام ثــالث القــوم نافجــاً حضنيــه

---

(١) - وهذا تأكيد منه (عليه السلام) بأنّ الخلافة حق ثابت له، وما ابو بكر إلا سارق لها.

(٢) - إشارة لقول ابي بكر: (اقيلوني فلست بخيركم).

(٣) - وهي إشارة منه (عليه السلام) على تقسيم الخلافة بين ابي بكر وعمر.

(٤) - يشير (عليه السلام) الى سعد بن ابي وقاص الذي صغى إلى ضغنه وهو عبد الرحمن بن عوف.

(٥) - يشير (عليه السلام) إلى عبد الرحمن بن عوف الذي مال الى صهره وهو عثمان بن عفان.

(٦) - إشارة منه (عليه السلام) الى اغراض اخر يكره ذكرها.

بين نثيله ومعتلفه[1] ...إلى أن ختمها بقوله(عليه السلام): أما والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يُقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتُم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

احتجاج السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام)

تجمد فكري، وعقدت الحيرة لساني، فوضعت كلتا يديّ على رأسي ثم قلت كل هذا ونحن لا ندري، أمرٌ لا يصدق

فلم يدعني خالي أرتاح قليلاً... حتى أنعش أعصابي فبادرني قائلاً: هذا فيما يتعلّق باحتجاج أمير المؤمنين على بن أبي طالب(عليه السلام)، ودعيني أقرأ عليك مما جاء عن احتجاج الزهراء(عليها السلام).

خالي: بغضّ النّظر عن ما جاء في المصادر الشيعية من استنكار أهل بيت العصمة والطهارة(عليهم السلام)، فقد ذكر أبو الفضل أحمد بن طيفور وجاء في شرح بن أبي الحديد في المجلد الرابع وفي

(١) - يشير (عليه السلام) إلى عثمان وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه، ونافجاً حضنيه، رافعاً لهما، والحضن: ما بين الإبيط والكشح يقال للمتكبر جاء نافجاً حضنيه. والنثيل: الروث، والمعتلف: موضع العلف أي أراد (عليه السلام) بقوله: لا همَّ له الا ما ذكر.

أعلام النساء لعمر رضا كحالة[1]، قالت(عليها السلام) في خطبتها -التي كان أهل البيت(عليهم السلام) يلزمون أولادهم بحفظها كما يلزمونهم بحفظ القرآن-:

«ويحهم أنّى زحزحوها[2] عن رواسي الرسالة؟! وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين، الطبن[3] بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين.. وما الذي نقموا من أبي الحسن؟! نقموا والله منه نكير سيفه وشدّة وطأته ونكال وقعته وتنمّره في ذات الله، وتالله لو تكافأوا[4] على زمام نبذه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، لسار بهم سيراً سجحاً لا يكلّم خشاشة[5] ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلاً روياً فضفاضاً[6] تطفح

---

(١) - ج٣ ص ١٢٠٨، وقد اخرج خطبة الزهراء ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة وفدك.

(٢) - اي الخلافة.

(٣) - اي الخبير.

(٤) - التكافؤ: التساوي، والزمام الذي نبذه إليه رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) -اي القاه إليه - إنما هو زمام الأمة في امور دينها ودنياها، والمعنى انهم لو تساووا جميعاً في الإنقياد بذلك الزمام والإستسلام إلى ذلك القائد العام، لأعتقله اي وضعه بين ركابه، وساقه كما يعتقل الرمح.

(٥) - سار بهم سيراً سجحاً اي سيراً سهلاً ولايكلم خشاشة اي لا يجرح انف البعير، والخشاش: عود يجعل في انف البعير يشد به الزمام ولايتعتع ركابه، اي لايصيبه اذى.

(٦) - اي يفيض منه الماء.

ضفتاه ولا يترنّم جانباه ولأصدرهم بطانة[1] ونصح لهم سراً وإعلاناً غير متحل منهم بطائل إلا بغمر الناهل[2] وردعه سورة الساغب[3]، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلم فأستمع وما عشت أراك الدهر عجباً، وإن تعجب، فقد أعجبك الحادث، إلى لجأ لجأوا؟! وبأي عروة تمسكوا، لبئس المولى ولبئس العشير، بئس للظالمين بدلا، أستبدلوا والله الذنابي بالقوادم، والعجز بالكاهل فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم ﴿أَفَمَنْ يَهْدي إِلَى الْحَقّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدّي إِلاَّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[4]»إلى آخر الخطبة . . .

بينما هو يقرأ أحسست برعشة تسري إلى جميع أجزاء بدني وجرت دمعة على خدي . . وكيف لا أبكي وقد أحسست بأنفاس الزهراء الطاهرة تتسرب مع أنفاسي إلى أعماق نفسي ، فكانت تلك الكلمات حروفاً من نور تشع في وجداني ، وربّ السماء والأرض لو

---

(١) - اي شبعانين.

(٢) - اي ري الظمآن.

(٣) - اي كسر شدة الجوع.

(٤) — سورة يونس / الآية : ٣٥.

أنكر أهل الدنيا جميعاً هذه الكلمات لعشت بها وحيدة في فيافي الأرض وقفارها، أترنّم بأجراس كلماتها وترقص نفسي طرباً بأزيز أنغامها، وهنا يكون العشق والحب، وتهيم الروح سكراً بلب معناها.

كففت دمعي وتوسلت بخالي أن لا يقطع الحوار بسبب اضطرابي... دعاني إلى النوم لكي تهدأ أعصابي، قلت كم هي الليالي التي لم نستفد منها إلا النوم فإن كانت ليلة القدر خير من ألف شهر فهذه الليلة خير من ألف يوم، فتلك الليلة تكتب فيها الأقدار وهذه الليلة تبعث فيها الأرواح.

وبعد إلحاح قال خالي: أختم لكِ هذه الليلة بحوار عمر مع جدنا العباس الذي نتشرف بالانتساب إليه

كما جاء في الكامل لأبن الأثير[1]، وشرح النهج لأبن أبي الحديد[2] وتاريخ الطبري[3].

قال عمر: أتدري ما منع قومكم بعد محمّد(ﷺ)؟

قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه فقلت له: إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري.!

---

(١) - ج٣ ص٦٣.

(٢) - ج٣ ص١٠٧.

(٣) - ج٤ ص٢٢٣.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحاً بجحاً[1] فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت.

عندها قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب، تكلمت..

قال: تكلم.

فقال ابن عباس: أما قولك يا أمير المؤمنين، اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفّقت، فلوا أنّ قريش اختارت لأنفسها من حين اختار الله لها، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك إنهم أبوا أن تكون لنا النبوّة والخلافة فإنّ الله عزّ وجل، وصف قوماً بالكراهة، فقال: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾[2].

قال عمر: هيهات يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرّك عليها فتزيل منزلتك منّي.

فقال ابن عباس: ما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

---

(١) - التبجح بالشي، اي الفرح به.

(٢) - سورة محمد / الآية ٤٧.

قال عمر: بلغني أنك تقول إنّما صرفوها عنّا حسداً وبغياً وظلماً.

فقال ابن عباس: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً فإن آدم حُسِدَ ونحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات، هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول.

فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف بهذا قلوب قوم أذهَب الله عنهم الرِّجس وطَهَّرهم تطهيراً.

خالي: والدليل على أنّ أهل البيت(عليهم السلام) محسودون على المكانة التي خصهّم بها الله قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾[1] والتدبر في هذه الآية يكشف لنا أنّ الحسد وقع على هؤلاء الناس بسبب عطاء ربك لهم (الكتاب والحكمة والملك العظيم) لأنّ المعلوم والمحكم في هذه الآية أنّ الله أعطى آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم، والمتشابه علينا في هذه الآية هو من المقصود بالناس في هذه الآية وما هو الفضل الذي أُعطي لهم، ولاستجلاء المعنى المقصود لا بد من أجراء المقابلة (فالناس يقابلهم آل إبراهيم) (والفضل، يقابله الكتاب والحكمة والملك العظيم) فهل يا

---

(١) – سورة النساء / الآية: ٥٤.

ترى من هؤلاء الناس في أمة محمد يقابلون آل إبراهيم، هل تجدي غير آل محمد كفؤٌ ونظير لآل إبراهيم، فيتضح بذلك إنّ الناس المقصودون في هذه الآية هم آل محمد(ﷺ) أما الفضل الذي أُعضيّ لهم فهو الكتاب والحكمة والملك العظيم، فيكون معنى الآية: (أم يحسدون آل محمد على ما أتاهم الله من الكتاب والحكمة والملك العظيم، ولقد آتينا آل أبراهيم مثل ما أعطيناهم من الكتاب والحكمة والملك العظيم) فهل عرفتِ بذلك السبب الذي جعلهم يزيلوا آل محمد عن مراتبهم التي رتبهم الله بها)!؟.

يا عزيزتي: قد تبين للجاهل قبل العالم، وإياكِ أن تحيدي عن قومٍ أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً.

قلت: كل ما ذكرته مقنعاً، ومستنداً على الأدلة والبراهين الساطعة، وهذا خلاف ما كنا نعرفه عن الشيعة الذين كانوا في تصورنا أبعد الناس عن الحق، وكل ما يمكن أن أجزم به الآن حتى لا أكون متعجلة بالحكم بأحقية مذهبكم أن الشيعة طائفة إسلامية يجب أن تحترم وأن كانوا يختلفون مع عامة المسلمين من أهل السنة في بعض الأمور التي يمكن تجاوزها في سبيل الوحدة الإسلامية، وللأنصاف يا خالي لقد سررت جداً بهذا الحوار وقد تعلمت منه درساً لن أنساه أبداً، وهو عدم الحكم على الآخرين بالأفكار

المسبقة، والرجوع إليهم لا إلى من يخالفهم، وأنا أعتقد أنّ من أعظم المصائب التي تعيشها امتنا هي فقدانها لأرضية الحوار.

ولكن عفواً يا خالي مازال هناك سؤالاً يراودني، هل غاب هذا عن العلماء؟ ولماذا لم يتوصل أحد منهم لما ذكرت؟

خالي: لقد أثلجت صدري بهذا الكلام الذي ينم عن وعي وشعور كاملين بالمسؤولية، التي أمرنا القرآن الكريم أن نتحلّى بها من معرفة المنهج القرآني في المباحثة والمناظرة العلمية الذي يعترف بالطرفين، قال تعالى معلماً رسوله(ﷺ) مخاطبة الكفار والمشركين: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1]، فانظري إلى هذا التعامل الأخلاقي النبيل، فلم يقل لهم أني على حق وأنتم على ضلال، بل قال إما نحن أو أنتم على حق أو على باطل.. فهذا هو منهج القرآن عندما طرح للجميع حرية المناقشة قائلاً: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] فكان رسول الله(ﷺ) يسمع براهينهم ويردها بالتي هي أحسن، وقد سجل القرآن نماذجاً كثيرةً سواء كانت مع رسول الله(ﷺ) أو مع الأنبياء السابقين، ففي قصة إبراهيم ونمرود، وموسى وفرعون، خير

---

(١) – سورة سبأ / الآية: ٢٤.

(٢) – سورة النمل / الآية: ٦٤.

عبر، وقد أثبت الله سبحانه وتعالى حجج وبراهين الكافرين في قرآنه، وأعطاها من القداسة ما أعطى غيرها من الآيات ولم يجوّز لمسلم أن يمسها من غير وضوء بناء على الفقه الشيعي، فأين هؤلاء الذين يشنعون ويفترون على الشيعة بكل ما هو باطل من هذا المنهج القرآني الأصيل[1].

أما قولك لماذا لم يتوصل أحد لما ذكرت؟

قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ﴾[2] وقال: ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[3] ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾[4] ﴿وَما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[5] ﴿فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾[6] ﴿أَكْثَر النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾[7]. . هذا أولاً . . .

ثانياً: هناك من هو مصداق قوله تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[8].

---

(١) - راجع كتاب الحقيقة الضائعة، لمعتصم سيد أحمد، ص٣٠ تحت عنوان ملاحظات للباحث لا بد منها، وص٢١٨ مع إحسان إلهي ظهير.

(٢) - سورة المؤمنون / الآية: ٧٠.

(٣) - سورة الأعراف / الآية: ١٨٧.

(٤) - سورة يوسف / الآية: ٣٨.

(٥) - سورة يوسف / الآية: ١٠٣.

(٦) - سورة الإسراء / الآية: ٨٩.

(٧) - سورة الرعد / الآية: ١.

(٨) - سورة النمل / الآية: ١٤.

ثالثاً: هنالك مجموعة من نخبة السنّة وعلمائها تمكنوا من كسر الأغلال وتعدى حواجز الكبت الإعلامي، والتحقوا بركب التشيع في كل أنحاء العالم، فتمسك بعض العلماء بموقفهم ليس دليلاً على بطلان مذهب آل البيت(عليهم السلام) وإلا حكمنا ببطلان مذهب أهل السنّة أيضاً لتمسّك علماء الطوائف الأخرى بعقيدتهم.

مسح الأرجل في الوضوء

لو سمحت لي يا خالي بآخر سؤال، لقد رأيتك تمسح على رجليك في الوضوء بدلاً عن الغسل فما هو السبب، أليس الغسل أنظف وآمن للنجاسة من المسح؟.

خالي: (وهو مستغرباً لهذا الانتقال المفاجئ) نعم الغسل أنظف ولكن الله أعرف، ثم أبتسم.

قلت: ولكن لم يأمر الله بالمسح؟

خالي: صبراً علي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1] فقوله ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ دالة على وجوب المسح، بكلى القراءتين

(١) – سورة المائدة / الآية: ٦.

بالكسر أو بالفتح، أما الكسر فواضح لأنها معطوفة على الرأس، وأما النصب فأنه يدل على المسح أيضاً وذلك لأنه معطوف على موضع الرؤوس لوقوع المسح عليهما، ولا يمكن العطف على الأيدي وذلك لوجود فاصل أجنبي وهو المسح، فلا يجوز العطف على البعيد مع إمكانية العطف على القريب. وهذا ما أكدت عليه روايات أهل بيت العصمة والطهارة، بل هنالك أحاديث من مصادر أهل السنة تؤيد المسح، وممن قال بالمسح، ابن عباس والحسن البصري والجبائي والطبري وغيرهم. قال ابن عباس وأنس: الوضوء غسلتان ومسحتان، كما جاء في الدر المنثور[1]، قال عكرمة: ليس على الرجلين غسل إنما فيهما المسح، وبه قال الشعبي: (ألا يرى أن في التيمم يمسح ما كان غسلاً ويلقي ما كان مسحاً)[2] وروى أوس بن أوس قال: رأيت النبي (ﷺ) توضأ ومسح على رجليه، ووصف بن عباس وضوء رسول الله (ﷺ) وانه مسح على رجليه وقال: إنّ كتاب الله المسح ويأبى الناس إلا الغسل)[3]، وجاء أيضاً في كنز العمال عن حمران قال: دعا عثمان بماء فتوضأ ثم ضحك فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟

---

(١) - ج٦ص٢٨ الطبعة الثانية ١٩١٨.

(٢) - نفس المصدر ص٢٩.

(٣) - الدر المنثور السيوطي ج٦ ص٢٨، وكنز العمال ج٩ ص ٤٣٤.

قال: يا أمير المؤمنين ما أضحكك؟

قال: (رأيتُ رسول الله(ﷺ) توضأ كما توضأت، فمضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً ويديه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه)[1]. وفي سنن ابن ماجة فقال: (إنهما لا تتم الصلاة لأحد حتى تسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى، يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين)[2].

إلا يكفي هذه دلالة على وجوب المسح.

قلت: عجيب ولماذا يغسل أهل السنّة إذاً؟

خالي: أنت سألتيني لماذا يمسح الشيعة فأجبتك، وبقى عليكِ أن تجيبي على سؤالكِ لماذا يغسل أهل السنّة؟

ثم أعتذر وأنصرف لنومه.

أكذوبة المذاهب الأربعة

وبعد ذلك الحوار وجلسات أخرى متفرقة مع خالي، اهتزّت كل قناعاتي بالموروث الديني السني، وتكشفت أمام ناظري مجموعة من الحقائق، بعدما وقفت على عمق الخلافات

---

(١) - ص ٤٣٦.

(٢) - ج١ حديث رقم ٤٦٠.

المذهبية، وعندما أتى خالي لزيارتنا في بيتنا عاجلته بالسؤال ما هو رأيكم في المذاهب الأربعة؟

فتبسّم خالي قائلاً أما زلتِ في حيرة من أمرك، فإنّ الله ورسوله لم يكلفاك بأتباع أحد منهم وأنا أتحدى كل علماء السنة الماضين منهم والباقين أن يستدلوا بدليل واحد على وجوب تقليدهم، فدعي عنكِ تلك الوساوس وتوجهي إلى أئمة الهدى من آل البيت(عليهم السلام) فهم موضع الحكمة والرسالة جعلهم الله لنا عصمة وملاذا، ألم يقل رسول الله (صلى الله عليه وآله) **«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي»**.. ولم يقل كتاب الله وأئمة المذاهب الأربعة.

فقاطعته قائلة: ولكن قال: (كتاب الله وسنتي) مما يفتح الباب واسعاً أمام اجتهاد الأمة؟

خالي: أولاً: إنّ حديث كتاب الله وسنّتي غير صحيح فلم يرويه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي وكل الصحاح الستة، فكيف نرتكز على حديث غير ثابت عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) فهذا الحديث لم يرويه إلا مالك في الموطأ من غير سند فقد جاء في الموطأ أن مالك بلغه أنّ رسول الله قال: (تركت فيكم كتاب الله وسنتي) فكيف يا ترى بلغ مالك هذا الحديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟! ومن المعلوم أن

الفاصل بين رسول الله(ﷺ) ومالك يحتاج فيه الحديث إلى سند طويل، يعنى حدثني فلان عن فلان عن فلان عن الصحابي عن رسول الله، وهذا الحديث من غير سند مما يعني أنه حديث في غاية الضعف، أما حديث «تركت فيكم كتاب الله وعترتي» فقد رواه مسلم في صحيحه بعدة طرق وروته كل الصحاح الستة ما عدا البخاري وعدد الرواة الذين نقلوا الحديث من الصحابة يتجاوز الثلاثين راوياً مما يعنى أنه حديث متواتر مقطوع الصدور عند السنة والشيعة، فكيف نتنازل عنه من أجل حديث لا سند له، ومن هنا كان من الواجب على كل مسلم أن يتبع أهل البيت(عليهم السلام) في كل أمور دينه.

قلت: هناك حديث آخر يقول عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، فنستفيد من هذا الحديث أولاً التمسك بسنة الرسول وسنة الخلفاء ثانياً.

خالي: هذه إسقاطات لا يقبلها النص، أولاً بعيداً عن مناقشة سند الحديث الذي استفرد بنقله ابن داود وابن ماجة والترمذي وتجاوزنا عن تضعيف بعض الرواة في أسانيده، فإنّ هذا الحديث لا يتحمل أكثر من دعم رأي الشيعة، وذلك أنّ كلمة الخلفاء هنا لا تعنى الخلفاء الأربعة أو الذين حكموا في التاريخ لأن هذا إسقاط تأويلي متأخر عن النص فتسمية الخلفاء الراشدين للأربعة الذين

حكموا ليست هي تسمية شرعية وإنما تسمية المؤرخين الذين حكموا على فترة حكم الخلفاء بالرشد، فبالتالي لا يكون الخلفاء مصداق لهذا الحديث لمجرد اشتراك التسمية، فيكون التفسير الأقرب إن الخلفاء المقصودين هم أئمة أهل البيت الأثنا عشر وذلك لقول الرسول(ﷺ) في البخاري في باب الخلافة ومسلم وغيرها من الصحاح عشرين رواية كما جمعها القندوزي الحنفي في ينابيع المودة أنّ رسول الله(ﷺ) قال: «**أن الخلفاء من بعدي أثناء عشر خليفة**» فجاء في رواية كلهم من قريش، وفي رواية كلهم من بني هاشم، وهذا الترديد في نقل الراوي لا يؤثر في الاستدلال بهذا الحديث على إمامة أهل البيت(عليهم السلام)، وذلك بأن الفرقة الإسلامية الوحيدة التي توالي أثنا عشر أماماً هم الشيعة الأمامية الإثنا عشرية، كلهم من أهل البيت، فإذا ثبت وهو كذلك حديث رسول الله(ﷺ) عليكم بكتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثم جاء حديث آخر يقول الخلفاء من بعدي إثنا عشر خليفة تعين أن يكون هؤلاء من أهل البيت، لأنه يستحيل عقلاً أن يأمرنا الرسول(ﷺ) بأتباع أهل البيت، وفي نفس الوقت يأمرنا بإتباع خلفاء من غير أهل البيت، مما يحدث تناقضاً وتضارباً، فتعين أن يكون الخلفاء المقصودون في الحديث هم الأئمة من آل البيت(عليهم السلام) وللأسف لم يكن الخلفاء الذين

حكموا في التاريخ ولا أئمة المذاهب الأربعة من آل البيت، وهذا كافي في أبعادهم عن ساحة الحوار

قلت: ولكن من أين جاءت فكرة المذاهب الأربعة؟

خالي: فكرة المذاهب الأربعة خدعة نسجت خيوطها سياسات الكبت الأموية والعباسية إلا لم يكن الفقهاء الأربعة هم أعلم أهل زمانهم فهناك من كان أكثر علماً منهم وكان لهم مذاهبهم الخاصة كسفيان الثوري وبن عيينة والاوزاعي وغيرهم أنقرضت مذاهبهم عندما لم تجد دعماً سياسياً من السلطة، مما يعنى أن للسلطة مآرب معينة لتمرير أسماء الأربعة ومن ثم سد الطريق عن غيرهم، والأمر واضح وهو خلق قيادات فقهية بديلة عن أهل البيت لكي يلتف حولها عامة المسلمين، أوليس من العجيب فعلاً إن كل ما جاء في أهل البيت من آيات قرآنية وأحاديث نبوية كاشفة عن مكانة عظيمة ومرتبة رفيعة إذا لم نقل بالعصمة، ألا تؤهلهم في نظر أهل السنة ليتسلم أهل البيت زمام الفتيا أو على أقل تقدير يختارون واحداً من أهل البيت ليكون من بين الأئمة الأربعة، حتى يأتي شيخ الأزهر شلتوت ليتصدق على أهل البيت في القرن العشرين بأن يجعل الإمام الصادق إماماً خامساً مع الأئمة الأربعة، مع أن أهل البيت(عليهم السلام) لا يقبلون الصدقة.

لقد تعجبت فعلاً عند ما رددت أسماءهم في نفسي (مالك، أبو حنيفة، الشافعي، أحمد بن حنبل) فمعظمهم مشكوك في عروبته ناهيك عن كونه من آل البيت، ثم نتباهى بحب ذرية الرسول(ﷺ)، أي حب هذا الذي لم يورثنا الثقة في علمهم وجدارتهم، ومن الغريب أيضاً إننا لم نقبل حق أهل البيت في الخلافة، متمسكين بأنّ الحق لا يثبت بمجرد القرابة، فإن كان الحق لا يثب بالقرابة فالحب لا يكون أيضاً لمجرد القرابة، إلا إذا كان حبنا مجرد أدعاء أجوف، إما إذا اعترفنا بأن هنالك مكانة خاصة ومرتبة رفيعة تؤهلهم للحب غير قرابتهم من رسول الله(ﷺ) فهو نفسه يؤهّلهم إلى مرتبة الإمامة، هذا مع أنّ الواقع التاريخي يثبت إنّ أئمة المذاهب الأربعة بدءاً من مالك وانتهاءاً بابن حنبل يدينون بالفضل والأعلمية لأهل البيت(عليهم السلام) فإن كان للأربعة علم فهو من نفحات أهل البيت(عليهم السلام) مما يكشف لنا مأساة التاريخ الأعمى الذي لا ينظر إلا بعيون السلطة، فإن كان بنظر أهل السنة لا يوجد في أهل البيت فقهاء، ألا يوجد فيهم علماء في العقائد والحديث ومعارف القرآن فمن أئمة العقائد والتفسير والحديث عندنا؟... لا يوجد من بينهم واحد من أهل البيت(عليهم السلام) فهل يحق لأهل السنة بعد ذلك أن يدّعوا أنهم محبون لأهل البيت.

الشعائر الحسينية

حسمت لي تلك النقاشات مع بعض الإطلاع أحقيّة المذهب الشيعي بجدارة، ولم يكن بيني وبين الإلتزام الكامل إلا بعض الإشكالات الطفيفة التي لا تمس بالجوهر، مثل بعض الممارسات الشيعية في شهر محرم من اللطم على الصدور وضرب الرؤوس بالسيوف، فسألت خالي وأنا مستنكرة لهذا الأمر، كيف يجوز الشيعة فعل ذلك، ورسول الله(ﷺ) يقول: «**ليس منا من شقّ الجيوب ولطم الخدود ودعا بدعوة الجاهلية**».

خالي: أولاً هذا نقاش فقهي داخل الدائرة الشيعية، ما يعني أن الشيعة ملزمون باستنباط أحكامهم الشرعية فيما ورد عندهم من الأحاديث المروية عن رسول الله(ﷺ) وأهل البيت(عليهم السلام)، والحديث الذي ذكرته هو من أحاديث أهل السنة فهو ملزم لهم وليس للشيعة، كما تقول القاعدة ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

وثانياً: إذا سلمنا بهذا الحديث فهو بعيد كل البعد عن مورد الاستدلال والاعتراض، فالحديث يتكون من ثلاث محاور أساسية فإن اجتمعت في موضوع واحد تتعلق به الحرمة والنهي، وهي (شق الجيوب – ولطم الخدود – ودعوة الجاهلية) والدليل على الاقتران هو رف العطف فإن كان شق الجيب لوحده حرام وكذا لطم الخد لكان

من المفترض استخدام رف (أو) فيكون الحدين (. . من شقّ الجيوب أو لطم الخدود أو دعا بدعوة الجاهلية) فبالتالي لا تنصب الحرمة على شق الجيب إلا بعنوان دعوة الجاهلية أما من شق جيبه بل شق كل ملابسه، ولطم خده لأي سبب يراه أو مصلحة يجلبها لنفسه أو حتى عبثاً، ولم يدعوا بدعوة الجاهلية، لا يكون ملاماً أو معاتباً، وأكثر ما يقال فيه إذا لم يكن هناك حكمة عقلائية إنه مجنون، فإذاً ليس شق الجيب ولطم الخد بمعزل عن دعاء الجاهلية، هو الذي تدور عليه الحرمة، وإنما تتحقق الحرمة ويتعلق النهي عن هذه التصرفات مع الدعاء بدعوة الجاهلية، وكذلك لا يكون الأمر محصوراً في شق الجيب ولطم الخد، فالذي يضرب رأسه ويشد شعره ويدعو بدعوة الجاهلية كذلك يشمله الحديث ومن هنا كان محور الحرمة ومناط الحكم هو دعوة الجاهلية مع شق الجيب أو ضرب الرأس أو أي تصرف آخر، وإلا حكمنا بجواز من يحثو التراب على رأسه ويدعو بدعوة الجاهلية، فالحديث بعيد عن تصرفات الشيعة أيام محرم، لأنهم لا يدعون بدعوة الجاهلية، فهم لا يدعون اللاّت والعزّى ومناة وهُبل، ولا يدعون باسم العصبية القبلية ولا كل العادات التي ذمّها الإسلام، وإنما يدعون بدعوة الإسلام، ودعوة التوحيد ويبكون على مصائب أهل البيت(عليهم السلام) التي هي مصائب الإسلام، فالحديث بعيد عنهم.

قلت : ولكن ليس هناك أحد من كل العقلاء يستحسن ما يفعله الشيعة بل يستقبحونه ، ألا يكفي حكم العقلاء لتحريمه .

خالي : أولاً : إذا نظرنا إلى حكم العقل بعيداً عن العقلاء فإن العقل لا يرى فيه قبحاً لأن العقل إذا نظر إلى أمر نظر له وهو مجرد عن كل العناوين وكل الاعتبارات فإذا جردنا هذه التصرفات من كل عناوينها ، لا يتمكن العقل من الحكم عليها لأنها من الأمور الغير ذاتية القبح أو الحسن كالعدل والظلم وإنما من الأمور التي يدور حكم العقل فيها مع العنوان ، فمثلاً (الضرب) كموضوع إذا نظرنا له بعيداً عن أي اعتبار ليس هو قبيحاً وليس هو حسناً ، فإذا كان الضرب مع عنوان التأديب فهو حسن ، والضرب نفسه مع عنوان الإيذاء والظلم فهو قبيح ، فبالتالي الحسن والقبح يدور مدار العنوان ، كذلك بعض الشعائر الحسينية ، فهي أما أن تكون بعنوان أحياء أمر أهل البيت وبالتالي أحياء الإسلام ، وإما بأي عنوان سلبي آخر ، فإن كانت بالأول فهي حسنة وإن كان بالثاني فهي قبيحة ، وأظن أنّ الأمر واضح أن هذه الشعائر بالقصد الأول .

أما حكم العقلاء فهو دائر مدار المصلحة العامة من الفعل أو المفسدة ، ولا يرى العقلاء أي مفسدة في أن يقوم مجموعة من الناس بشعيرة معينة لمصلحة تخصهم ، كما لا يرى مانع أن يخترع مجموعة

من الناس احتفالاً يعظمون فيه أمراً ما، مثلاً كأس العالم في كرة القدم الذي يقوم كل أربعة سنوات بإجراء منافسات دولية ينشغل بها كل العالم، فلا يستقبح العقلاء هذا الأمر.

أما حكم العرف والذوق والميل والحب والكراهية كلها عناوين لا يمكنها تشكيل معيار لمحاكمة أي قضية، فإذا كان هناك عرف لا يحبذ الشعائر الحسينية فهناك عرف آخر يحبذها بل يحترمها، وكذا الحب والكراهية فما تحبينه أنتِ يكرهه الآخر، فمن الخطأ أن نحاكم الشيعة برغباتنا الخاصة.

قلت: ولكن الأمر يصل إلى حد الضرر كضرب الرؤوس بالسيوف، وهذه مفسدة واضحة لأن فيها ضرر، وقد نها رسول الله(ﷺ) عنه وقال: «**لا ضرر ولا ضرار في الإسلام**».

خالي: إذا نظرنا إلى هذا الحديث وأمعنّا فيه النظر نجد إنّ الاستدلال بهذا الحديث يكون كالتالي كل ضرر حرام، وضرب الرأس بالسيف ضرر، إذاً هو حرام وهذا قياس منطقي واضح فإذا كان (كل إنسان يموت، وزيد إنسان، إذاً زيد حتماً يموت)، أليس كذلك.

قلت: نعم فكيف تجوزونه إذاً؟.

خالي: مهلاً ولا تتعجّلي، حتى يكون هذا الأمر صحيحاً والقياس تاماً لا بد أن تكون الكبرى سليمة كما يسمونها في المنطق وهي (كل ضرر

حرام) فهل كل ضرر على إطلاقه حرام، فإذا كان كذلك لتوقفت كل الحياة وليست الشعائر الحسينية لوحدها لأن الضرر نسبي، فكل فعل يفعله الإنسان فيه ضرر، ففي الأكل ضرر كما قال رسول الله(ﷺ): **«ما ملأ بن آدم وعاء أشر من بطنه، وفي عدمه ضرر»**، والنوم الكثير ضرر والقليل كذلك وفي القراءة ضرر وفي عدمها ضرر، وكذلك هناك أفعال في فعلها ضرر وفي تركها منفعة ولكنها ليست حرام بإجماع الأمة، مثل أكل بعض المأكولات الضارة كالشحوم، والفلفل الحار، والسكر الأبيض وعشرات الأسماء فمع أمكان الإنسان التخلّي عنها إلا أنه ليس ملزماً، وباختصار ليس هنالك فعل إلا فيه ضرر، مما يدعونا إلى التفكير في معنى الضرر المقصود في الحديث، وهنا نتعرف على أنّ الضرر نوعين ضرر حتمي وضرر غير حتمي أو بمعنى ضرر مسموح به وضرر غير مسموح به، فالضرر الحرام المقصود في الحديث هو الضرر الحتمي بمعنى حتماً يؤدي إلى هلاك الإنسان مثل أن يشرب الإنسان كأس من السم، أما الضرر الغير حتمي هو أن يشرب الإنسان مثلاً كأساً من القهوة، فمع أنه فيه نسبة من الضرر إلا أنه ضرر مأذون به.

قاطعتُه قائلة: ولكن في ضرب الرأس بالسيف ضرر حتمي فمن الممكن أن تصادف الضربة شريان مما يؤدي إلى النزف المتواصل فيؤدي إلى موته.

خالي: هذا الاحتمال غير وارد ولا يعول عليه، لأن الاحتمال نوعان، احتمال عقلائي واحتمال غير عقلائي، والفرق بين الاثنين أنّ الأول احتمال قائم على مجموعة من المبادئ العلمية والثاني عكسه، فمن المحتمل أن يقع هذا البيت على رؤوسنا فهل نركض خارج الغرفة.

قلت: لا -وأنا ضاحكة- لأنّ هذا مجرد احتمال سخيف.

خالي: وإذا قال لك مهندس مختص بأن أعمدة البيت لا يمكنها حمل هذه الغرفة أكثر من يوم مثلاً فهل تغادرينها؟

قلت: نعم وإذا بقيت أكون رميت بنفسي في التهلكة!.

خالي: هذا هو بالضبط الفرق بين الاحتمالين، فقولك من المحتمل أن تقطع الضربة شريان، هو كالقول من المحتمل أن تصدمك سيارة إذا عبرتِ الشارع، فهل تتوقفين عن العبور.

قلت: لكن يا خالي، إذا نظر إنسان إلى منظرهم وهم مضرَّجين بالدماء في منظر تشمئزّ منه القلوب وخاصة غير المسلم، مما يجعله يستهجن هذا الدين الذي يجعل أتباعه غارقين في الدماء.

خالي: نعم معكِ حق إن هذا المنظر الذي يخرج به المطبّرون كما يسمّونهم، منظر تشمئز منه القلوب، ولكن ليس عليهم عتاب، ولكي تعرفي ذلك لا بد لنا النظر في الجذر الثقافي الذي يرتكز عليه التطبير، فهو لا يعدوا كونه عملاً فنياً ولوحةً أبداعيةً تحاول أن تقترب من مأساة

كربلاء، فإذا أحضرنا مجموعة من الرسامين وكلفناهم برسم واقعة كربلاء، فما هي اللوحات التي تتوقعين أن يرسموها، غير رؤوس مقطعة وأيادي مبتورة وخيام محرقة ونساء مفجوعة، فهل يحق لنا أن نعاتبهم على تلك الرسومات ونقول كان أجدر بكم أن ترسموا لنا حدائق ومياه وزهور، فالقبح إذاً ليس في اللوحة وإنما القبح في الواقع الذي حاولت أن تجسده اللوحة، وإن صدق ذلك على اللوحة الورقية يصدق أيضاً على اللوحة التي يشترك مجموعة من الناس في إخراجها كالعمل الدرامي مثلاً، فهذا الموكب الدرامي الذي يتكوّن من مجموعة من الناس لابسين الأكفان وهي ملطّخة بالدماء وحاملين السيوف، حقاً منظراً تشمئزّ منه النفوس ولكن ليس القبح فيه وإنما القبح في ذلك الواقع التاريخي وفي تلك المعركة المفجعة فالمأساة ليست في التطبير وإنما هي في كربلاء، فهل نغيّر حقيقة كربلاء أيضاً.

قلت: هذا الكلام بصورته النظرية مقنع ولكن عملياً أرى أنه بعيد، فأنا لا أتصور أن يدفعني أمر للقيام بضرب رأسي بالسيف.

خالي: الفعل يصدر من الإنسان عندما تكون هناك تهيئة نفسية تناسب الفعل، فإذا لم تتحقق فإن الدوافع النظرية ليست كافية، فكثير من الأمور نعتقد بها نظرياً لكن لا نمارسها إلا إذا كانت هناك تهيئة نفسية، فمثلاً ضرورة الأكل مقدمة نظرية ولكن لا يقدم الإنسان على

الأكل إلا إذا كان جائعاً مما تستعد نفسه للقيام بالأكل، وكذا الأمثلة كثيرة، فنحن خلافنا مع الذين يستنكرون هذه الشعائر خلاف نظري وليس عملي فلم نطلب منهم المشاركة، ومن هنا كان النقاش النظري ضرورياً معهم، أما التهيئة النفسية فتحتاج إلى مقدمات من نوع آخر، فمثلاً الصوت الجميل في تلاوة القرآن يخلق جواً تهيج معه النفس مما يجعلها تبكي، وكذا الأغاني فإنها تطرب النفس فتكون مقدمة للرقص، وكذلك في محرم عندما يعيش الإنسان أجواء كربلاء ويستنشق روائح تلك الدماء الزاكيات، وتعلوا النداءات بثارات الحسين وتدق طبول الحرب تهيئ الإنسان نفسياً للقيام بتلك الشعائر التي تكون تعبيراً صادقاً لما يجول في نفسه من حب للإمام الحسين(عليه السلام).

الحسين(عليه السلام) الدمعة الجارية

تردّدت كثيراً في تسجيل تجربتي الأولى مع الإمام الحسين(عليه السلام)، وكلما أبدأ بالكتابة تهرب الكلمات من تحت سنان قلمي، وتبقى المأساة مكتومة في داخل نفسي فلا معين أطيل معه العويل والبكاء ولا جَزُوعٍ فأساعد جزعهُ إذا خلاً، فتمتزج البسمة عندي بالدمعة ويحتل الحزن مكان الفرحة، وتتبدل كل أهازيج البشرى بأنين الحزن الدائم، ففي ميلاده سكبت عبرة.. ومازالت تلك العبرة.. وفي استشهاده وفي ذكراه تعلو العبرة.. فللحسين مجد مكتوب من الأزل

الأبدي لا ينال إلا بالدمع الأحمر: **«يا حسين اِعلم أنّ لك عند الله أجراً لا تبلغه إلا بالشهادة»**.

قبل أن أعيش في رحاب التشيع وأهتدي إلى مذهب أهل البيت(عليهم السلام) لم أكن أعرف عن الحسين(عليه السلام) إلى ما درسناه في المدارس، وهي قصة مجتزأة تعبر عن الكبت الدائم لقضية كربلاء، أذكر أنني كنت في الرابع الإبتدائي فحاول الأستاذ تبعاً للمنهج أن يطوي كل ذلك التاريخ في قوله أن يزيد قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأولاده وسبى نساءه، في معركة تسمّى كربلاء، فسألت طالبة مسيحية بدهشة كيف تجوزون قتل ابن بنت نبيكم؟، فدمعت عيناي دون أن أشعر فكانت تلك أول دمعة في مصاب الإمام الحسين(عليه السلام)، فقال الأستاذ ذلك قدر الله على هذه الأمة...

قدر الله أم غدر الأمة التي لم تحفظ رسول الله في ذريته وهو القائل **«أوصيكم الله في أهل بيتي»** وقال الله تعالى في حقهم: **﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾**[1] أيقتل روحي له الفداء في أبشع صورة مرت على تاريخ البشرية وهو الذي قال فيه رسول الله(صلى الله عليه وآله): **«حسين مني وأنا من حسين أحبّ الله من أحبّ حسيناً»** وقال: **«الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»** و**«الحسن**

---

(١) – سورة الشورى / الآية: ٢٣.

والحسين سيدا شباب أهل الجنة» وعندما قال رجل للحسين(عليه السلام) وهو راكب على ظهر رسول الله(صلى الله عليه وآله): نعم المركب مركب، فقال رسول الله: «ونعم الراكب هو»، فالأمة التي تجرأت على قتل الحسين(عليه السلام) هي نفسها يمكنها قتل الرسول.

فبقت تلك الدمعة وحيدة حتى جاء اليوم الذي عشت فيه مأساة كربلاء بتفاصيلها، حيث ما تزال ظلالها الحزينة ترافق ظلي إلى اليوم، تاركة أثاراً عميقة في نفسي، كنا في شهر محرم الحرام في منطقة السيدة زينب(عليها السلام) بدمشق والسواد يغطي الساحات والكل حزين يهتف يا لثارات الحسين، فانتقل بي الزمان حتى كأني أرى كربلاء بأم عيني صورة لا تحكى ومنظر لا يصور، عشت لحظات في فيافي دمائها الحمراء أواسي نساء الهاشميات فبكيت معهن حتى نبض الدمع مني وحينها رجع صدى النفس يردّد يا ليتنا كنا معك فنفوز فوزاً عظيماً.

فعاشوراء لم تمت بل هي حاضرة في وجدان هذه الأمة، يلوح من أريج دمائها الذاكية الصمود والإباء، وفي أعتابها شموخ الإيمان على الكفر، وفي لهواتها انتصار الحق على الباطل، وعلى أشراف أبوابها كان نهج الحق وراية العدل ترفرف مدى الأزمان فكل أيامنا عاشوراء وكل بقعة من بقاع الأرض كربلاء، فهي أعظم من أن تكون حبيسة التاريخ، وأكبر من أن يكون الزمان قيدا على عنفوان تحديها فهي شاهدا حيا على كل العصور.

فعام ٦١ للهجرة هو بداية المأساة ولكن لم يكن هو النهاية فلم تزل حاضرة بكل ماساتها عبر السنين، ففي كربلاء يتجلّى الإسلام بأسمى معانيه، وتضيق عندها المسافة بين الإنسان والقيم، وتقترب فيها السماء من الأرض، فكانت تضحيات الحسين جسراً يقرب الإنسان من العالم المعنوي والأفق الأعلى بما لا يقرب به شيء آخر.

فللحسين قضيتان: قضية الجسد المقطع وقضية الحق المضيّع، وفي كربلاء اختلطت القيم بالدماء والعدل بالشهادة، ولكي يرفع الحق رفعت هامة الحسين على سنان الرماح، فلا وجود للمسيرة من غير الوقوف على أشلاء كربلاء، وليس هناك مأساة تبكي من غير تلك المسيرة التي كان الحسين قربان لها: (اللّهمّ تقبل هذا القربان من آل محمد) فكانت المأساة بحجم المسيرة وكانت التضحية بقدر المنهج.

فأصبح الحسين(عليه السلام) هو نهجي.. وعاشوراء هي شعاري، وتربته الطاهرة أضعها تحت جبيني في سجودي، لكي أبقى دوماً مع الحسين وألقى الله مع الحسين.

الفهرس

الموضوع	صفحة
المقدمة	٧
الفصل الأول: المرأة.. بين حرية البحث والتقليد	١١
هل المرأة على دين زوجها؟	١٥
المرأة بين ثقافة البحث.. وضغط الثقافة	٢٠
منذ البداية كنت هاشمية	٢١
خطوات في أول الطريق	٢٥
مفارقة بين الخطّين... المرأة وحقّها في العمل	٢٩
بين ألم الشك.. وخداع الذات	٣٣
بداية الطريق	٣٨
وطرق التشيع بابنا	٤٠
من هم الشيعة	٤٢
الفصل الثاني: الخلافة بين النص والشورى	٤٩
الشورى هي الحل	٥٥
أبو بكر هو الخليفة الذي نصّ عليه رسول الله	٥٧
الاستدلال بآيات الشورى باطل	٥٩

الموضوع	صفحة
اختلاف أمتي رحمة	٦٣
الديمقراطية مبدأ إسلامي وعقلائي	٦٤
الديمقراطية لا تصلح في المجتمع القبلي	٦٦
إجماع الصحابة على خلافة أبي بكر	٧٠
بيعة علي لأبي بكر كافية في المقام	٧١
أحداث السقيفة	٧٤
علي مع الحق والحق مع علي	٧٦
الشورى في الواقع العملي	٨٠
عدالة الصحابة	٨١
بيعة علي لأبي بكر	٩٠
إمامة علي على نحو الاختيار وليس الجبر	٩٤
احتجاج السيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام)	٩٩
مسح الأرجل في الوضوء	١٠٨
أكذوبة المذاهب الأربعة	١١٠
الشعائر الحسينية	١١٦
الحسين(عليه السلام) الدمعة الجارية	١٢٣